

ادبائ التّوہید

مکتور محمد الجوادى



دکٲور محمد الجوادى

دار الشروق

أَدَبَاءُ التَّنْزِيلِ
وَالْتَأَمُّجُ الْإِسْلَامِ

الطبعة الأولى
١٤١٥هـ - ١٩٩٥م

جميع حقوق الطبع محفوظة

© دار الشروق
أستبصرها محمد المعتمد عام ١٩٦٨

دكتور محمد الجوّادى

أدبَاءُ التَّنْقِيحِ وَالْتَأَمُّجِ الْإِسْلَامِ

الغلاف : الفنان محمد حجي
الخطوط : محمود إبراهيم

إهداء

إلى روح الصديق الكبير
المهندس حافظ أحمد أمين

□□ قدمت بعض مادة هذا الكتاب ونوقشت في مؤتمر « تاريخ الأمة الإسلامية بين الالتزام والموضوعية » أكتوبر ١٩٨٩ تحت عنوان « منهج أدباء التنوير في كتابة تاريخ الأمة الإسلامية » .
□□ الطبعة الأولى ، اتحاد الجامعات الإسلامية ، الرباط ، ١٩٩٠

مقدمة الطبعة الثانية

حين شرعت في التفكير في صياغة فكرتى في هذا البحث على هذا النحو كنت أمل أن أجد الطريق الى تصوير ذلك الموقف الذى استطاعته نخبة من مفكرينا رفيعة الثقافة وجدوا العالم (يومها) يتغير من حولهم ليجث في تراثه وأصوله عن العوامل المتينة التى يستطيع أن يستند إليها وهو يبني صياغته الجديدة لأنظمة الحكم بعد أن وضعت الحرب العالمية الأولى أوزارها وهى يومها فى أذهان البشر ليست إلا ذلك الشيء الرهيب الذى اسمه الحرب الكبرى، فإذا الخريطة العالمية ترسم من جديد، تذوب كيانات لتنشأ كيانات أضعف، ولكن لأبد من نشأتها.. وتذوب كيانات أخرى من أجل كيانات أقوى، ولأبد من ذلك أيضا.. وتذوب كيانات ثالثة لتخرج من جديد قريبة من الكيانات السابقة ولكنها تحمل مسميات جديدة ! على هذا الحال وجد المثقفون المصريون أنفسهم فى عالم جديد فإذا هم يفكرون بطرق شتى فى مكان وطنهم

ومكانة بلادهم من هذا العالم الجديد ، وإذا أهل المبادرة من رجال السياسة يسعون إلى المندوب السامى يستحثون وفاء بريطانيا بتعهداتها لمصر... ويكون هذا السعى بداية لما أصبح بعد ذلك ثورة ١٩١٩ بكل وقودها ونتائجها... يسعى أهل الفكر في خطوات متلاحقة (حتى وان لم يظهر للرأى من قريب أنها مترتبة على بعضها) إلى إثبات الهوية الوطنية بكل السبل والوسائل.. وتجد مع هؤلاء بعضا من أهل السياسة المتنورين وما أكثرهم يومها يشاركون خطوات عملاقة في مجالات الآداب والفنون والعلوم جميعا، فإذا الجامعة الأهلية تثمر جامعة رسمية وإذا جمعيات الفنون والآداب تأخذ مكانها كمؤسسات ناشئة، وإذا حركة التأليف والترجمة والنشر تبلغ منعطفات هامة في آفاقها ونشاطها.

وعلى الصعيد الثالث .. الصعيد الأعمق والأكثر أناة كانت طبيعة الهوية التاريخية لهذا الشعب تلح بشدة على عقول مفكره وكتابه وهم يحاولون أن يقرأوا التاريخ الوطنى ليستلهموا حوادثه وأحداثه وليجدوا فى مطالعته مايعينهم على تصور المستقبل بل والحاضر كذلك . كانت حركة المجتمع الدولى من حول مصر تستحث هؤلاء على الخروج بالرأى الواضح الذى يستطيعون أن يعبروا من خلاله أو بعد استلهامه عن موقفهم من قضية كقضية الخلافة الاسلاميه التى استحالت للأسف إلى واجهة أصبحت مرتبطة بكثير من التداعيات والتراكمات التى لايسهل

الدفاع عنها أمام ضجيج الطبول الهاتفة لسياسة كسياسة التحديث (أوالتغريب) التى تبناها واحد من أمثال أتاتورك حتى ولو كانت هذه السياسة جوفاء ! و على هذا النحو كانت الدواعى لاعادة بلورة الرأى فى مجرى التاريخ الإسلامى كله قوية الى الحد الذى دفعت عالما كالشيخ على عبد الرازق إلى أن يتصدى مبكرا برأى مهما يكن صوابه فإنه قد لقى من القبول والاستنكار على حد سواء ماينبىء عن أن البيئة الفكرية كانت يومها مهمة أشد الاهتمام بالموضوع الذى يتناوله هذا الرأى مهما يكن . على أن المسألة لم تكن مجرد أزمة يستوعبها حوار حول رأى.. وإنما كانت بمثابة الشغل الشاغل الذى لا بد وأن يجد - ولو بعد حين - من يتفرغ له مستعينا بأدوات البحث الجديدة التى تهيأت للتاريخ والبحث العلمى بعد إتاحة نتاج المطبعة بكل ما فى هذا النتاج، وإتاحة كثير من المخطوطات ، وتوفر كثير من الدراسات على مدى القرون الطويلة، و ربما كانت المؤلفات التى تناولتها فى هذا البحث هى الحصيلة الأولى لتفاعل الجيل الرائد من أدباء التنوير مع التاريخ الإسلامى دراسة وكتابة .

وقد أسعدنى الحظ أن اتقدم بنواة هذا الكتاب كبحت فى ندوة «تاريخ الأمة الإسلامية بين الموضوعية والتحيز» التى عقدت بالتعاون بين رابطة الجماعات الإسلامية وكلية آداب الزقازيق فى أكتوبر ١٩٨٩، وحظى هذا البحث بمناقشات مستفيضة فى قاعة الندوة

وخارجها مما دفعنى الى الاهتمام بنشر هذا الكتاب على نطاق كفىل بتوفيره لأصحاب الرأى. ولا أنكر أننى كنت ولا زلت مقدرأ أشد التقدير هذا الجهد الذى قام به (الأدباء) فى كتابة تاريخ الأمة الإسلامية. ولازلت اعتقد أنه إذا جاز أن يكون هناك أكثر من مستوى لكتابة تاريخ أمة (ومن باب أولى الأمة الإسلامية) فلا بد أن تتميز كتابات تاريخية بالقدرة على أن تكون مقروءة على أوسع نطاق . ولابد لمثل هذه الكتابات من أن تحظى بأقلام قديرة مقتدرة كتلك التى يتناولها هذا البحث. وإنى لأذكر فى هذا المجال رأياً ضمنته دراسة لى عن «التعليم والثقافة فى الوطن العربى» خلاصته أن تكون مثل هذه الكتب على رأس المقررات الإضافية الكفيلة بتنمية الثقافة العامة بين طلبة التعليم العالى.. وأذكر هنا أن هذا الرأى كان على رأس الآراء التى لقيت القبول إن لم يكن الإعجاب ، بحيث إن الذين ناقشوا فكرة المقال من أساتذتى الذين اطلعوا على أصولها كانوا يلخصون الموقف كله بأن يقولوا إنه لابد من تقرير مثل هذه الكتب الجميلة الوافية «فجر الاسلام ، وضحى الإسلام .. وعلى هامش السيرة، والفتنة الكبرى» حتى يخرج طلاب المجتمع الإسلامى بفكرة تاريخية علمية منطبعة فى أذهانهم لا بمجرد معلومات محشوة لا يربطها رابط، وإنى لأذكر كذلك أنى أشرت بهذه الكتب ضمن مجموعة أخرى مما قد يسمى بكتب الثقافة العامة على عدد من الأساتذة الأجلاء ذوى المكانة الرفيعة فى تخصصات العلوم الطبية والطبيعية أرادوا رأى - قبل

حواليه سنوات — في مجموعة من الكتب تجعلهم على إلمامة واسعة وعميقة بعناصر الثقافة التي حصلوها من قبل على مدى قراءاتهم التي امتدت طيلة عمرهم الثقافي، وأن هؤلاء جميعا وبلا استثناء كانوا أسعد مايكونون بهذه المؤلفات بعد أن طالعوها أو طالعوا بعضها.

ربما كان كل هذا الحديث ضروريا للتدليل على مدى تقبلي لهذا المنهج الذي كتبت عنه ، وربما يفسر هذا بعض ذلك التعليق الذي ساقه الأستاذ الدكتور عبد الحليم عويس وآخرون من المعقبين علىّ في الندوة حين تساءل الدكتور عويس بعد تقرّظ طويل لبحثي ، هل كل ماكتبوا جدير بالتقدير والاحترام، ألم تجد مطاعن فيما كتبوا؟ ألم تلاحظ أنهم لم يلتزموا بالمنهج الاسلامي بقدر ما ألتزموا بالتغيرات المادية.. الخ) والحق أني أجد من واجبي تجاه القارئ أن ألخص له ردودي على مثل هذه التحفظات كما جاءت على لساني في الندوة حيث قلت إن هناك فارقا كبيرا بين مجموعتين من الصفات .. مجموعة الصفات التي وصفت بأنها إنجازات (وهي التي تناولتها في الفصل الثاني ومجموعة الصفات الأخرى التي وصفتها بأنها سمات (وهي التي تناولتها في الفصل الثالث). ولخصت الموقف كله في سرعة (شأن المتحدثين في الندوات) بقولي إن الانجازات هي تلك الصفات التي تميز جهداً على جهد أما السمات فهي تلك الصفات التي تميز جهدا من جهد .. ولهذا فإنه يمكن للدكتور عبد الحليم عويس وأنصاره بل ولأنصار مذاهب أخرى أن

يأخذوا بعض السمات التي عدتها في الفصل الثالث على أنها مأخذ ،
حتى وإن أخذوا البعض الآخر على أنه مما لا جدال في عبقريته!! أما
الانجازات فإنها لا تشمل هذا التأويل.. وهذا هو ما كان في ذهني حقيقة
حين عمدت الى مثل هذا التقسيم (وإن لم أسطره يومها).. خذ مثلاً تلك
الصفة التي جعلتها أولى الانجازات وهي تأكيد الصفة الإلهية للبعثة
المحمدية وأن الاسلام دين من عند الله... بعبارة أخرى ان الإسلام
رسالة وبعثة وليس مجرد دعوة إصلاحية فهذا فكر هام بلا شك كما
يتضح لنا جميعاً من قراءة النصوص المقابلة في أى كتاب من كتب
المؤرخين الغربيين.

على اليد الأخرى فإن ماسميته بالسمات ولناخذ مثلاً «الانتصار
للعقل» يمكن النظر اليه على أنه من المميزات كما يمكن لأنصار مذهب
آخر أن ينتقدوه ويخرجوه من دائرة المميزات تماماً .. وفي هذا المجال فإن
سمة كالسمة الأولى في هذا الفصل وهي «النظر الى التاريخ الاسلامي
كجزء من الدراسات الاسلامية» لا يمكن النظر اليها بسهولة على أنها من
إنجازات كتابة أدباء التنوير ذلك أنه يصعب على غير المقتنعين بأهمية
الدراسات الإسلامية في كتابة التاريخ الإسلامى أن يوافقونا على
ضرورة تسليح كتاب هذا التاريخ بكل تلك العلوم والمعلومات والثقافة
الإسلامية .. أو أن يكون هذا من المقومات الأساسية في كتابة مثل هذا
التاريخ.

أحب أن أذكر أن كثيرا من المعقبين سألوني عن عدم تناول البحث للكتب التي تتناول الشخصيات مما ألف طه حسين وأحمد أمين وهيكل والعقاد .. الشيخان، وزعماء الإصلاح، وحياة محمد، والعبقریات.. إلخ، وهى النقطة التى ربما لم يمكنهم الوقت من الاطلاع عليها فى البحث حين ذكرت فى المقدمة (ص ١٩ من هذا الكتاب) أنه لن يكون من شأن هذه الورقة أن تتعرض لهذه الكتابات لأنها تدخل فى باب التراجم على حين أن البحث مقصور كما ينبىء عنوانه على الدور الذى قاموا به فى كتابة التاريخ.. ومع هذا يبقى منهج أدباء التنوير فى كتابة التراجم من الأمور التى تستحق الدراسة والتأمل ، وبالطبع فإننى أول الموافقين على أنه من التعسف الواضح أن نعتبر أن التراجم مما يخرج عن نطاق التاريخ ولكن كنت ملتزماً حدودى .

ومن الطريف أن أذكر للقارئ كذلك قصة التعليقات المتكررة التى تفضل بها كثيرون على عبارتى التى قلت فيها إن من مميزات هذه الكتابات التى قام بها أدباء التنوير أنها أتاحت تاريخ الإسلام مكتوبا بلغة الإسلام: حيث عقت بقولى «وقد يبدو ذكرنا لمثل هذا الفضل غريبا على الأذهان.. ولكن الذى لاشك فيه هو أن هذه ميزة كبيرة أن تمت كتابات هؤلاء المنُورين بالعربية.. لو تذكرنا أن لطه حسين نفسه كتابا عن الأندلس بالفرنسية ترجمه الأستاذ محمد عبد الله عنان بعد فترة من كتابته ، وأن رسالة الدكتور محمد حسن هيكل وكانت عن

«دين مصر العام» كتبت بالفرنسة، وأن رسالة د. عبد القادر القط كانت بالإنجليزية ولم تترجم الى العربية إلا مؤخرا. وأن تاريخ التراث العربى لفؤاد سزكين بقى مدة طويلة حتى ترجم، وأن تاريخ بروكلمان لم يترجم هو الآخر إلا بعد فترة.. وأن وصف مصر لم تتم ترجمته بأكمله حتى الآن، فما إن لخصت هذه العبارة إلا وتسارعت الأقلام إلى تسجيلها للتعقيب بها على فلما علق بها ثلاثة يؤكدون لى أن زهير الشايب قد ترجم وصف مصر وكذلك د. أيمن فؤاد وجد كثيرون غيرهم أنفسهم وقد فاتهم قصب سبق مزعوم .. وأذكر أنى عقت عليهم جميعا بقولى إن ما أقصده من هذا المعنى لم يكن أن وصف مصر لم يترجم فأنا أعلم ماترجم منه ومالم يترجم وأن المسألة فى منتهى البساطة أنه لم تتم ترجمته حتى اليوم الثانى والعشرين من أكتوبر ١٩٨٩ رغم مرور أكثر من قرنين على تأليفه.. هذا هو المعنى الذى أردت التدليل عليه بأكثر من مثال.. وحتى لو تفضل أحد الاساتذة المعقبين بالانتهاء من ترجمة وصف مصر فى تلك الليلة فإن المعنى الذى أردت التنبيه إليه يبقى قائما فى وضوح .

أحب بعد هذا أن أنبه إلى أنى لا اتبنى منهج أدباء التنوير فالمنهج نفسه أكبر من أن يتبناه مثلى، وقد وُجد المنهج من خلال النتاج الفكرى الذى مثلته الكتابات الصادرة عنه، ولكنى مع هذا أعيد تكرار التعبير عن إعجابى بهذا المنهج وسعادتى به وبتحليله، وأحب أن أذكر كذلك أننى

لا أفرض هذا المنهج على المؤرخين ولا أعتقد لهم أنه هو المنهج الأمثل ، ولكنى حَفِيٌّ بتحليل مقومات النجاح والتميز في هذا المنهج حتى وإن لم يوافقني بعض أساتذة من المؤرخين على أنه منهج من الأساس.

هذه أعمال تمت ولاقت رواجاً واستحساناً وقبولاً وخلوداً أو بعض ذلك كله، وأنا اليوم حريص على أن أتأمل ما فيها من جمال أو دقة أوراق أو تكامل أو تميز أو تفرد.. وحين أحاول هذا التأمل فإنى لا أفرض على هذا الأعمال منهاجاً في نقدها ، وإنما انتظر من الأعمال نفسها أن تضيء نفسها بنفسها.. وعلى هذا فإن من حق القارئ أن أدله على الطريقة التي اتبعتها في كتابة هذا البحث حين أعدت قراءة هذه الكتب وسجلت على هوامشها (أو في ورق بيدي) ما نبهتني إليه القراءة، ثم أخذت هذه الملاحظات والانطباعات جميعاً فاعدت قراءتها، وتنقيتها، واخترت أقربها إلى الاندماج تحت عنوان البحث، ثم رتبتهامرة بعد أخرى ثم كتبت ماكتب ، وأعدت تبويبه أكثر من مرات أربع، ثم دفعت به إلى المطبعة ، وتناولته بالتعديل في البروفات مرة بعد أخرى.. ثم قدمته إلى الندوة... وبعد ذلك عقيبت عليه تعقيبات كثيرة، واستبدلت بكثير من العبارات عبارات أخرى، وأضفت كثيراً من الفقرات، وتحررت من التعميم في كثير من المواضع، ودفعت به بعد ذلك إلى ثلاثة من الأصدقاء الأعزاء أبدوا رأيهم في كثير من النقاط والتعابير، وأعدت طباعته من جديد ، وبالطبع فقد أعدت النظر في كل صفحة في أثناء قراءة البروفات

الجديدة. ومع هذا كله أظل معتقداً أنى فى حاجة ماسة الى عطف القراء الأعزاء علىّ بمناقشتى فيما يرون مناقشته، وفى تصحيح ما يرون تصحيحه.

بقى أن أذكر قصة ذلك التعليق السريع الذى أبداه أحد أساتذة التاريخ الكرام حين استنكر علىّ أن أضرم جهود طه حسين وأحمد أمين إلى التاريخ، واستند فى استنكاره الشديد إلى أن طه حسين لم ينل الدكتوراه فى التاريخ وإنما فى الأدب وأن أحمد أمين لم تكن له علاقة ألبتة بأقسام التاريخ فى الجامعة.. ولحسن حظى أنى عقيبت على هذا الاستطراد بما كنت أعرف من أن طه حسين نال الدكتوراه بعد امتحانه فى الأدب العربى والجغرافيا والتاريخ «وإذن فليس حظه من دكتوراه الأدب بأكثر من حظه من دكتوراه التاريخ» هكذا كان نص عبارتى.. بل إن طه حسين فى أول عهده بالجامعة عمل كمدرس للتاريخ القديم قبل أن يتفرغ للأدب العربى!! لم يكن هذا الرد هو الرد المباشر بالطبع وإنما جاء بعد الإشارة السريعة الى أن كتابة التاريخ لم تكن أبداً فى أى مكان أو زمان حكراً على حملة الدكتوراه فى التاريخ.. وحتى إن كانت فليس من شأن هذه الندوة أن تقصر هذا الكتابات على هؤلاء فليس فى وسعها أن تفعل ذلك لأنها تتناول الكتابات التاريخية، حتى من قبل منح درجات الدكتوراه.. وفى النهاية أبديت أسفى وعجبى من أن المعلومات التى ذكرتها عن طه حسين وعن درجة الدكتوراه التى مُنحها مسجلة أيضاً

بالتفصيل فى كتاب تذكارى عن الجامعة المصرية يحمل اسم الاستاذ
الدكتور المعقب نفسه !!

لا أحب أن أبدو وكأنى خارج لتوى من دائرة الانبهار بجهد هؤلاء أو
مصمم على البقاء فى تلك الدائرة، ولكنى أحب أن أعلن سعادتى بهذا
الاكتشاف الذى سبقنى إليه القراء فى العالم كله على مدى السنوات التى
مضت منذ رأت هذه الأعمال النور، فإذا كانت دراستى لهذا المنهج
تخرج عن مناهج المؤرخين فى نقد مناهج التاريخ وتقترب كما تردد ذلك
الصوت الجميل فى القاعة من أن تكون منهجا تشرىحيا طبياً لدراسة
التاريخ فليس بوسعى إلا أن أذكر ذلك فى منتهى السعادة وأن أشكر
مثل هذا التقدير الكريم، وأن أشكر أيضاً الأستاذ الدكتور مصطفى
النجار رئيس اتحاد المؤرخين الذى كرر التعبير باسمه واسم الاتحاد
عن إعجابه بطريقة تناولى للموضوع على مسمع من أصحاب المناهج
التي ربما أكون قد ابتعدت عنها تماماً.

بقى أن اعترف فى نهاية هذه المقدمة للقارئ الكريم بأننى قد أجريت
كثيراً من التعديلات على متن هذه الدراسة بحيث أصبحت مختلفة كثيراً
عن صورتها التى خرجت بها فى طبعتها الأولى، وفى الحقيقة فإننى
دفعت بهذا النص إلى المطبعة بعد سبع تجارب مطبعية أعدت الصياغة فى
كل مرة منها فى كثير من المواضع، وكلما دفعنى الزمن إلى التباعد عن

البروفات كنت أحس دوماً أنى مقصر فى أن أترك هذا العمل المتواضع
حبس الأدرج خاصة بعد ما نفذت جميع نسخ الطبعة الأولى .

هذا الكتاب إذن ليس انعكاساً لمزاجى وفكرى فى ١٩٨٩ فحسب
ولكنه متأثر تماماً بظروف النفسىة والفكرىة فى المرات السبع التى أعيد
فىها جمعه فى ١٩٨٩ نفسها وفى مطلع ١٩٩٠ وفى أخريات ١٩٩١ وفى
مطلع ١٩٩٢ ونهايتها وفى نهاية ١٩٩٣ ثم فى هذه المرة الأخيرة فى ربيع
١٩٩٤ .

١٥ مارس ١٩٩٤

محمد الجوارى

مقدمة الطبعة الأولى

ليس من هدف هذه الدراسة أن تلخص آراء أديدت بأقلام أصحابها
أتيح لهم أن ينشروا على الناس ماكتبوه في تاريخ الأمة الإسلامية..
لعل هذه الورقة لن تبتعد عن شيء بقدر ما سوف تبتعد (أو ما
تحاول أن تبتعد) عن هذا التسجيل. وليس من هدف هذه الدراسة
تعل من قدر كتابة تاريخية على ما سواها من كتابات، إذ ليس من
هذه الندوة على ما أظن أن تمنح التقدير لما كتب من قبل ، حتى
امتحنت هذا الذي كتب منهجياً وموضوعية وأصالة وصدقاً بكل ما
فيها و حولها من نقاش و تعليقات . و ليس من هدف هذه
بعد ذلك أن تدل على المنهج الأمثل لكتابة تاريخ الأمة الإسلامية
إن كانت بالضرورة سوف تلقى ببعض الضوء على بعض معالم في
الطرق الكفيلة بالوصول إلى بعض ما نبتغيه لتاريخ أمتنا حين

إنما تحاول هذه الدراسة أن تتأمل مع المنتقدين هذا الجهد الذى شهده الربع الثانى من القرن العشرين فى مصر حين تصدرت مجموعة من ثلاثة من أساتذة كلية الآداب فى الجامعة المصرية الأولى لكتابة تاريخ الأمة الإسلامية .

تحاول هذه الدراسة أن تستعرض هذه التجربة الرائدة التى أثمرت جهداً ممتازاً أصبح بمثابة المصدر المفضل لأهل التاريخ ولأهل تاريخ الأدب العربى، و كثير من الدراسات الإنسانية فى الحضارة العربية .. وهو بعد ذلك ، و قبله المرجع العلمى الممتع ... و العمل الأدبى الممتاز .

سوف تتناول هذه الدراسة فى الأساس أعمال أحمد أمين .

- فجر الإسلام : جزء واحد

- ضحى الإسلام : ثلاثة أجزاء

- ظهر الإسلام : أربعة أجزاء

- يوم الإسلام : جزء واحد

و هى الحصيلة التى جاءت نتيجة اتفاق طه حسين وأحمد أمين وعبد الحميد العبادى على الاشتراك فى عمل كبير لكتابة تاريخ الأمة الإسلامية على أن يتولى الأستاذ العبادى كتابة الحياة السياسية ، وأن يتولى الأستاذ أحمد أمين الحياة العقلية .. و أن يتولى طه حسين الحياة الأدبية.

بيد أنه كما سنرى بالتفصيل كان الأستاذ أحمد أمين وحده هو الذي استطاع أن يقوم بدوره في هذا المجال ، ومع هذا فلن يسعنا إلا أن نضم إلى جهد أحمد أمين في هذا المجال ما كتبه طه حسين فيما سمي بالإسلاميات :

-مرأة الإسلام

- على هامش السيرة : ٣ أجزاء

-الوعد الحق

-الفتنة الكبرى :

١-عثمان

٢-على وبنوه

ومع أن أعمال طه حسين هذه لا تتكامل مع بعضها كأعمال أحمد أمين إلا أنها تمثل حديثاً عن مناطق تاريخية هامة تكتنف ما يسميه أهل التاريخ بالحدث الكبير الذي تتيح دراسته وتحليله ودراسة ما قبله وما بعده من أحداث .. و هذا هو عين ما فعل طه حسين مثلاً في كتابة الفتنة الكبرى بجزئيه .

بقى أن أوضح أيضاً أنه لن يكون من شأن هذه الدراسة أن تتناول دور أدباء التنوير في كتابة التراجم الإسلامية سواء دور الدكتور هيكل في حياة محمد .. أو العقاد في العبقريات و فاطمة الزهراء .. أو طه حسين

نفسه في « الشيخان » .. أو أحمد أمين نفسه في زعماء الإصلاح . فهذا موضوع بحث آخر . و سوف يكون من شأن هذه الدراسة أن تقوم بتلخيص المقومات التي ربما ساعدت من قريب أو من بعيد على دفع أدباء التنوير إلى النجاح في ارتياد هذه المنطقة ، وأن تروى قبل ذلك قصة جهدهم في هذا المجال .. ثم تبحث في المزايا التي أتيحت للتاريخ الإسلامي عندما كُتب بأقلام هؤلاء الأدباء و في الآثار الأخرى لهذه التجربة .. ثم تستعرض قيمة الدور الذي أتمه هؤلاء في ضوء المصاعب التي اعترضتهم و الجهود التي تلتهم ..

١٤ أكتوبر ١٩٨٩

محمد الجوردي

الفصل الأول

قصة المشروع

يتحدث أحمد أمين عن قصة الاتفاق على كتابة التاريخ الإسلامى فى صفحة ٢٢٤ من حياىى (الطبعة السادسة) فىقول : « كان ذلك تمهيداً لمشروع واسع فى البحث ووضعناه نحن الثلاثة : الدكتور طه حسين والأستاذ عبد الحميد العبادى وأنا خلاصته أن ندرس الحياة الإسلامىة من نواحيها الثلاث فى العصور المتعاقبة من أول ظهور الإسلام ، فىختص الدكتور طه بالحياة الأدبىة ، والأستاذ العبادى بالحياة التاريخىة ، وأختص أنا بالحياة العقلىة ، فأخذت أحضر الجزء الأول الذى سمى فىما بعد (فجر الإسلام) و صرفت فىه ما يقرب من سنتىن..» وىمضى أحمد أمين إلى أن فىقول فى صفحة ٢٢٥ : « وقد تم هذا الجزء الأول من فجر الإسلام فى آخر سنة ١٩٢٨ ، ولقد لقيت من حسن استقبال الناس لهذا الجزء و تقديرهم له و اهتمامهم به نقداً

وتقريباً ما شجعنى على المضى فى هذه السلسلة . و قد عاقت زميل
عوائق عن إخراج نصيهما فاستمرت أنا فى إخراج ضحى الإسلام فى
ثلاثة أجزاء .

هذا هو ما كتبه أحمد أمين بعد أن قطع شوطاً كبيراً فى عمله ، أما طه
حسين فقد كان طموحاً إلى أن يقوم بجهده فى هذا المجال إلى حد أنه
يتصور نفسه و قد أتم العمل فعلاً و ها هو يكتب فى نهاية تقديمه لفجر
الإسلام (الذى صدر ١٩٢٨) فىقول : « وثلاثتنا متضامنون فى الكتاب
على اختلاف أقسامه ، فقد استقل أحمد أمين بدرس الحياة العقلية ولكنه
قرأه معنا و أقررناه كما أقره ، فنحن شريكاه فيه على هذا النحو ،
واستقل عبد الحميد العبادى بدرس الحياة السياسية و لكنه قرأه علينا
وأقررناه كما أقره ، فنحن شريكاه فيه على هذا النحو ، و استقلت بدرس
الحياة الأدبية و لكننا قرأناه جميعاً و أقررناه ، فنحن جميعاً شركاء فيه
على هذا النحو ، و كل ما نتمناه أن نوفق إلى أن ندرس ضحى الإسلام
بعد أن درسنا فجر الإسلام . »

و فيما يبدو فإن حكماً على هذه العبارات المؤكدة و نحن نقرأها
اليوم لا يخرج عن تقديرنا لها من أنها كانت شبيهة بالأمانى حتى و إن
كانت تتحدث كما ترى بضمير الانجاز .

بل إننا نجد الدكتور طه حسين حين يكتب مقدمة فجر الإسلام
(١٩٢٨) يتحدث عن جهود أحمد أمين فى فجر الإسلام بضمير الجماعة

منذ بداية المقدمة حتى يأتي في صفحة (ط) إلى قوله: « و إنما أردنا أن نرضى ضمائرنا أولاً فأخذنا أنفسنا أو بعبارة أصح أخذ زميلنا الأستاذ أحمد أمين نفسه بأن يحلل هذه الحياة العقلية العربية تحليلاً ليس أقل دقة و استقصاء من تحليل صاحب الكيمياء في معمله .. » و هذه العبارة التي لم ترد إلا في صفحة (ط) هي أولى إشارات طه حسين إلى نهوض أحمد أمين وحده بالعمل بعد حديث طه حسين الطويل عن العمل كله بضمير الجماعة ..

ثم يستطرد طه حسين قائلاً إن الحياة السياسية (هي التي كان مقرراً أن يدرسها الأستاذ عبد الحميد العبادي) ليست أقل تعقيداً من الحياة العقلية « التي درسها أحمد أمين » ويوضح طه حسين سر تعقدها .. ثم يعقب بقوله: « و يرى الذين يقرأون كتاب الأستاذ عبد الحميد العبادي أن بلاءه في هذا البحث خليق بما لبلاء صاحبه أحمد أمين من حمد وثناء .. و يتطرق طه حسين بعد ذلك إلى الحياة الأدبية التي كان من المقرر أن يتولاها هو بالدرس ثم يقول « و أنا أرجو أن أنهض بعبء هذا البحث كما نهض صاحبائى بعبء البحثين اللذين عالجهما ».

الفصل الثاني

الإنجازات التي تحققت من خلال كتابة أدباء الشوير للتاريخ الإسلامي

(١) تأكيد الصفة الإلهية للبعثة المحمدية ، و أن الإسلام دين من عند الله : غالباً ما تطالعنا في معظم كتابات المستشرقين و مَنْ نهج على منوالهم رغبة ملحة في البحث عن عوامل اجتماعية أو سياسية أو اقتصادية وراء دعوة النبي محمد عليه السلام إلى الإسلام ، وابتعاداً تاماً عن اثبات معنى بعثة النبي من عند الله .. ولا شك أن المؤرخ المتوسط (ولا نقول المتميز) يستطيع أن يأخذ بعض الأحداث والظواهر فيما قبل بعثة النبي ليجعل منها دليلاً واضحاً أو إرهاباً قوياً على بدء الدعوة المحمدية كمجرد « دعوة » حتى وإن بالغ بعد ذلك في تقديره لقيمة وعظمة هذه الدعوة .. وهذا هو المفهوم الذي عايشته بنفسى مثلاً

في فكر أعظم الشباب الأوروبي ثقافة (كزملائي من الأطباء الأجانب) كنتيجة حتمية لثقافتهم المستقاة من المصادر المتاحة أمامهم .. ولو أننا في غيبة جهد هؤلاء الرواد كنا استسهلنا أن ندرس التاريخ الإسلامي من أعظم كتب الجامعات العالمية كأن نقرر نفس كتاب تاريخ العصور الإسلامية المحبذ أو المقرر في هارفارد أو كمبردج ونترجمه على نحو ما حدث ويحدث (ويظن بعضنا أنه النموذج لما ينبغي أن يحدث) في كثير من الأحوال في تدريسنا للعلوم الإنسانية والطبيعية في المرحلة الجامعية، لو كنا فعلنا هذا لوقعنا في المحذور الذي أنقذنا منه بلا شك انتباه بعضنا للقيام بما يمكن أن نصفه بأنه جهد من ذلك النوع الذي يطلق عليه في الفقه الإسلامي مسمى «فرض الكفاية» ، على أن الأعظم من هذا أن هؤلاء قاموا بهذا الجهد منذ مرحلة مبكرة من تاريخ الجامعة الوطنية المبكرة في بلد مسلم .

وسأضرب مثلاً على المعنى الذي أريد التعبير عنه بهذه العبارة التي تبدو وكأنها ممتازة والتي يجدها القارئ في مطلع كتاب المؤرخ الهندي اللامع خودا بختش عن الحضارة الإسلامية حيث يقول : « إن محمداً أخذ الشعلة من أيدي معاصريه ، إذ لم يكن هناك غير محمد الذي كانت تحيط به العناية الالهية ، ويشعر بالغيرة الدينية ، مَنْ غيره يستطيع أن يؤدي الرسالة ويقوم بالواجبات ويقدم من أجلها تضحيات شخصية عاجلة ، كانت روحه العالية لا تقبل تعدد الآلهة في بلاد العرب ،

وانصراف العرب إلى حياة الترف والشهوات وأصبح يفكر دائماً في تحطيم هذا النظام القائم .. كانت مسألة حياة أو موت .. ولكن محمداً ألقى بنفسه في المعمة بكل قوة لديه . ليخلق مجتمعاً نقياً عظيماً ، قوياً سليماً » . كلام جميل كما نرى ولكنه يخالف تماماً جوهرأ من الجواهر الأولى في إسلامنا وإيماننا وفي تاريخنا الإسلامى الحقيقى .

(٢) وضع الظواهر التاريخية الدالة على التعطش إلى دين فيما قبل الإسلام في وضعها الصحيح : تأسيساً على الفكرة السابقة ، ومن ناحية أخرى فإن قراء التاريخ الإسلامى الذى كتبه المستشرقون كثيراً ما يجدون تعسفاً واضحاً في كثير من « التكوينات التاريخية » التى تفسر ظهور الإسلام ، على يد النبى محمد صلى الله عليه وسلم في هذا الوقت بالذات وفي هذا المكان بالذات .. مع ما لا يغيب عن أذهاننا ووجداننا ومعتقداتنا من أن الإرادة الإلهية هى صاحبة هذا الاختيار .. وهكذا نجد كثيراً من المؤرخين يفضلون التفسيرات الأكثر جاذبية لبعض حوادث أو روايات متناثرة .. وعلى سبيل المثال ما نجده من كثرة النقل والتأويل لما أوردته سيرة ابن هشام (الجزء الأول ص ٣٧) من قصة اجتماع أربعة من مثقفى العرب (أو مفكريهم بلغة هذه الأيام) ، وهم ورقة بن نوفل ، وعبد الله بن جحش ، وعثمان بن الحويرث ، وزيد بن عمرو وقد تعاهدوا على أن يصون بعضهم سر بعض ، وأن يلتمسوا لقومهم ديناً .. فإنكم والله ما أنتم على شيء !! ثم ذهبوا يسيحون في

أرض الجزيرة يبحثون عن مثل هذا الدين .. وأخشى أن تتماهى المؤلفات في المستقبل في مثل هذه الرواية فتصور الأمر على أنه لم يكن إلا على نحو ما يفعل رواد تسجيل الفنون الشعبية أو رواد تسجيل الآثار!!

(٣) إيضاح تاريخ الديانات السماوية عند العرب فيما قبل الإسلام : لا يزال قراء التاريخ الإسلامى إلى اليوم يجدون كثيراً من الكتابات التاريخية وهى تتناول علاقة العرب بالديانات السماوية من منطق ساذج أو بمنطق التسطيح (وعلى سبيل المثال فيما يفسر عدم انتشار الديانتين السماويتين اليهودية والمسيحية في شبه الجزيرة العربية) من دون أن تنتبه مثل هذه الكتابات إلى حقائق واضحة كتلك التى تتعلق برغبة اليهود في الاستئثار بدينهم . أو انشغال الجماعة المسيحية ببلاد الامبراطوريات والحضارات عن الانتشار إلى مواقع متفرقة غير مأهولة بالسكان مثل بلاد العرب .. ومع هذا فقد كان للديانتين وجود واضح في مواضع معينة من جزيرة العرب لأسباب معينة كما فصل الأستاذ أحمد أمين في فصول كتابه فجر الإسلام .. قارن هذا الذى يستطيع الناس قراءته لأحمد أمين منذ نصف قرن برأى كراى أستاذ للتاريخ الإسلامى في جامعة عربية كبيرة يرى (في كتابه المقرر) في سرعة وفي بساطة أن المسيحية لم تنتشر لأن عقيدتها صعبة

على العرب !!! وأن اليهودية لم تنتشر هي الأخرى لأن القانون التلمودي
معقد عجز العرب عن فهمه !! .. وهكذا حل هذا الاستاذ الجليل
المشكلتين بزعم واحد قد لا يكون له أدنى مقوم من الحقيقة ! .

(٤) دراسة أثر الإسلام في أدب الأمة الإسلامية : ربما كانت هذه
العلاقة من العلاقات التي تقلل من شأنها كتابات المستشرقين عن الأدب
العربي (بالتناسي أو التجاهل) وكأن الأدب العربي في كل ماحلق إليه
من آفاق المعاني والتجديد بعد الإسلام قد استمد نجاحه من الجاهلية !!
حين لم يكن في وسع أعظم الشعراء في هذه الجاهلية أن يشبه الجواد
الماهر إلا بالصخر أسقطه السيل.. وربما كان هناك أو لا يزال هناك من
يرى أن الدين أرفع من أن يؤثر في الأعمال الأدبية .. أو هكذا يجب أن
تكون نظرتنا إليه ... ولكن هذا لا يمنع على الإطلاق من أن يقر كل من
تأهله نفسه للحقيقة من دارسى الأدب العربي أن الأدب العربي قد
استحال شيئاً آخر بعد الإسلام .

وسنستعير للقارىء عبارات طه حسين في تقديم الطبعة الأولى من
فجر الإسلام حين يعدد مزايا عمل أحمد أمين فيقول إنه « وصل بين
الثقافة الدينية والفلسفية وصلاً متيناً لن يتعرض منذ الآن لضعف
أو وهن فقد كان الناس يعلمون أن للدين والفلسفة أثراً في الشعر ولكنهم
لم يكونوا يزدون على هذه القضية العامة ، أما الآن فقد استطاع أحمد

أمين أن يضع أيدينا على هذه الآثار القوية الخالدة التي يتركها الدين والفلسفة والأدب ، وأصبح كتابه وسيلة قيمة إلى أن تتصل الحياة الدينية الإسلامية في وضوح وجلاء إلى نفوس الشبان الذين يدرسون الأدب العربي في الجامعة أو غيرها » ونحن نرى كثيراً من تطبيق أحمد أمين لهذا الفهم في كتاباته في كل فكرة تقريباً وانظر مثلاً ص ٢٧٥ من فجر الإسلام حين يتحدث حديثاً طويلاً عن أثر الاضطهادات في الشيعة إلى أن يصل إلى قوله : « وهذه السرية استلزمت الخداع والالتجاء إلى الرموز والتأويل ونحو ذلك .. وكان من أثر هذا الاضطهاد أيضاً اصطبغ أدبهم بالحزن والنواح والبكاء وذكرى المصائب والالام » .

(٥) الوعي بوجود ما يسمى بالشخصية الإسلامية : كان طه حسين على عكس ما قد يتصور الناس أو ما قد يصور لهم اليوم منتبهاً تمام الانتباه إلى وجود ما يسمى بالشخصية الإسلامية ، وتميزها ، وهاهو في مقدمة ضحى الإسلام يقول في منتهى الوضوح إن هناك : « ما محاسن الشخصيات الفردية والاجتماعية لكثير من الأفراد والأمم وصهرها في رجل واحد هو الدولة الإسلامية فكأن منها شخصية جديدة كل الجدة ، طريفة كل الطرافة هي شخصية الأمة الإسلامية » تأمل هذا الذي خرج به طه حسين من قراءة كتاب أحمد أمين وسجله في تقديمه للكتاب ، وقارن بينه وبين بعض أفراد الجيل الثالث من تلاميذه الذين يريدون اليوم — دون درس — أن يقولوا بانتقاء وجود ما يسمى بالشخصية الإسلامية !!

(٦) إتاحة تاريخ الإسلام مكتوباً بلغة الإسلام : وقد يبدو ذكرنا لمثل هذا على أنه فضل غريباً على الأذهان .. ولكن الذى لا شك فيه هو أن هذه ميزة كبيرة أن تمت كتابات هؤلاء الأدباء المنورين بالعربية .. ولنتذكر أن لطفه حسين نفسه كتاباً عن الاندلس بالفرنساوية ترجمه الأستاذ محمد عبد الله عنان بعد فترة من كتابته . وأن رسالة الدكتور محمد حسين هيكل للدكتوراه وكانت عن دين مصر العام كتبت بالفرنسية ، وأن رسالة د. عبد القادر القط للدكتوراه كانت بالانجليزية ولم تترجم إلى العربية إلا مؤخراً . وأن تاريخ التراث العربى لفؤاد سزكين بقى مدة طويلة حتى ترجم ، وأن تاريخ بروكلمان لم يترجم هو الآخر إلا بعد فترة .. وأن وصف مصر لم تتم ترجمته بأكمله حتى الآن !!

(٧) الدين فوق الدولة وفوق الحضارة وفوق القومية : وهذا معنى واضح كل الوضوح منذ مطالعتك كتب أحمد أمين فهو لا يقول فجر الدولة الإسلامية ولا ظهر الدولة الإسلامية وإنما هو ينسب كل هذا إلى الإسلام مباشرة . و أحمد أمين لا يتعسف فى تفسير (أو تحديد) العلاقة بين الإسلام والعربية مثلاً وإنما يضع هذه العلاقة وضعها الصحيح، ولا يفرضها على الحوادث التاريخية ، وأحمد أمين فى كل هذا يصدر عن الفهم العميق للتاريخ ، ولا يريد أن يفرض فهما وقتياً عليه وعلى حوادثه، ولهذا تبقى لهذه الكتابات التنويرية قيمتها حتى بعد انتهاء عصور التنوير التى كتبت فيها .

(٨) النجاة من التعصب لاسلوب الاستشراقى : نجا الأستاذ

أحمد أمين من تعصب المستشرقين فى زمن الانبهار بهم لأنه كان صاحب منهج أصيل ناقد يستطيع أن يعرض عليه ويستعرض فى هديه كل ما من شأنه أن تكون له علاقة بالدين الحق أو بالزعم الباطل .. وهكذا جاءت كتابة أحمد أمين خالية من كل ما يثير المسلم الحق من الفهم غير الحق للدين الحنيف . وأحب أن أعبر للقارىء عن هذا المعنى بعبارات جميلة للأستاذ عبد الحليم النجار كتبها وهو يقدم ترجمته لكتاب جولد زيهر فيقول فى وصفها : « ويشتمل الكتاب على قليل من النزعات الدينية ، وهى نزعات لا يكاد يخلو منها كتاب من كتب المستشرقين لا سيما فيما يتصل من الدين بسبب أو نسب يملئها عليهم ألف لازم أو هوى متبع أو قصد جائر . »

(٩) النجاة من التعصب الخفى للمتمذهبين والقوميين

والشعوبيين .. إلخ : فأحمد أمين (وكذلك طه حسين) لا ينتصر للسنة على الشيعة ، ولا للشيعة على السنة (حتى وإن جاهر السفير حسين أمين فيما بعد باعتقاده فى أن والده ظلم الشيعة) ولا لأهل قطر عن قطر ، ولا لحضارة سابقة على الإسلام على حضارة أخرى فى تأثيرها على الإسلام ولا يلقى بلائمة حرب أو نزاع على جماعة دون جماعة ونحن نفهم أن المؤرخ لا ينبغى أن يكون إلا هكذا.. ولكننا لا نستطيع أن نجد هذا المؤرخ فى كل ما هو متاح أمامنا من كتب التاريخ . و سأضع أمام

حضرتكم فقرة تمثل البديل الآخر الذى لا يحظى أبداً بميزة كتابات أحمد أمين وهى أولى فقرات كتاب تاريخى ضخيم هو « العرب والعروبة من القرن الثالث حتى القرن الرابع عشر الهجرى » وقد نشرته دار البيقظة العربية بسوريا سنة ١٩٥٩ للأستاذ محمد عزة دروزة : يقول المؤلف : « أدى انهيار الدولة الأموية الشامية فى أول الثلث الأول من القرن الهجرى التالى نتيجة لتحالف الهاشميين ضدها مع الفرس إلى انتقال عاصمة الدولة العربية الإسلامية التى حل العباسيون فيها محل الأمويين من دمشق إلى الهاشمية فبغداد فى العراق الذى كان أقرب إلى البيئة الفرسية من الشام ، وانفسح بهذا أو ذاك المجال لرجال الفرس فأخذوا يتغلغلون فى بنية الدولة العباسية ويدمرون العرب شيئاً فشيئاً.. وأخذت تبدو منهم مطاعم متنوعة تهدد كيان الدولة والعروبة تهديداً قوياً .. » .فهذا كما نرى نموذج للتاريخ الذى يمكن أن يقدم للشباب وللطالب المسلم وللمثقف المسلم فى مجلدات كبار تدرس فى الجامعات الكبرى أو تتاح حتى فى المكتبات الصغرى .

وأحب أن أوضح للقارئ أنى لا أقصد بالتعصب ذاك الذى قد نجده مدسوساً كالسم فى العسل فحسب .. ولكننى أقصد كافة أنواع التعصب حتى ذلك التعصب للعقل فى فهم العبارات العامة أو الغامضة أو غير المحددة وما ينشأ عنه من تعسف فى فهمها وفهم أركانها وشروطها ، أوحتى التعصب للجنس البشرى فى فهم الكون وما قد ينشأ عن ذلك من

تفسير شبه مادی للتاريخ ، أو التعصب للحاضر في فهم الماضي وما ينشأ عن ذلك من نظرة جوفاء متعالية إلى جهود جبارة قد نعجز عنها اليوم وهكذا .. كأني أريد أن أقول إن الأدباء قرأوا التاريخ على نحو ما أضاء التاريخ نفسه من داخله .

(١٠) دراسة صلة الثقافة الإسلامية بالثقافات الشرقية : يمكننا

القول باطمئنان أن أحمد أمين كان أول وأبرز من وضع أيدينا على مدى تأثير الثقافة العربية الإسلامية بالثقافات الشرقية .. ولولا جهود أحمد أمين لظللنا ننقل عن كثير من السابقين على أحمد أمين واللاحقين له اهتمامهم بعصر الترجمة الذهبى في عهد الخليفة المأمون (فقط) حيث نقلنا عن اللاتينية وكأننا كأمة إسلامية في تفاعلنا الحى مع الحضارات لم تتفاعل إلا مع اللاتين .. ولا نزال إلى اليوم نرى معتقدات وثقافة كثيرين منا وكأن النموذج الأمثل (وأحيانا الوحيد) للتأثير بين الثقافة العربية والثقافات الأخرى قد أخذ على أنه علاقة العرب بالثقافة اللاتينية بدءاً من عصر المأمون ثم البعثات والحملة الفرنسية وحتى معهد العالم العربى في باريس .. أما الدراسات التى تستقصى علاقة الحضارة بين العربية والفارسية فإنها لا تبرز إلا قليلا ، وبخاصة عند الحديث عما قد يسمى بالتأثيرات المعادية أو التأثيرات السلبية كالشعبوية . على أن الأهم من هذا أن أحمد أمين كان أكثر المؤرخين توفيقا في دراسة وتحقيق الصلة بين العرب والهند ، وتكاد هذه العلاقات

لا تحظى بأى اهتمام حتى الآن . وخلاصة القول إن أدباء التنوير قد انتبهوا تماماً إلى علاقة الشرق بالشرق كما انتبهوا إلى علاقة الشرق بالغرب .

(١١) الموازنة بين منهجى التاريخ : دراسة تعاقب الأحداث
ودراسة الحدث : على الرغم مما قد نجد من اختلاف الباحثين فى فلسفة كتابة التاريخ فى تقديرهم وتحبيذهم لمنهجين من مناهج كتابة التاريخ ، الأول يعنى بتوالى الأحداث وتعاقبها على نحو ما نرى فى كتابة الحوليات والأسرات والممالك والعصور .. الخ والثانى يُعنى بتعميق دراسة حدث واحد يمثل ذروة الصراع التاريخى فيما قبله وبعده ، مع هذا فإننا نجد المؤرخين يعودون فى النهاية ليقرروا (صراحة أو ضمناً) أن التاريخ الحق لا يمكن أن يكتب بأحد الأسلوبين دون الآخر ، وأنه لابد من امتزاج الأسلوبين للخروج فى النهاية بشئ ذى قيمة ، وهذا هو عينه الأسلوب الذى اتبعه أحمد أمين فى كتابة سلسلته الرائعة حين مزج باقتدار بين المنهجين . بل إن هذا المنهج هو الذى سيطر على طه حسين فى كتابه الفتنة الكبرى بجزئيه عثمان وعلى وبنوه . على الرغم مما قد يبدو للوهلة الأولى من أنه انتصر لمنهج الحدث التاريخى .. أو مما قد يبدو حين ينتهى القارئ فى سرعة بالغة يدفعه التشويق إليها من قراءة الكتاب فيظن أنه قرأ قصة الأحداث متعاقبة .

لا شك أن الأدبيين الكبارين قد نجحوا تماماً في هذه الموازنة بين منهجى كتابة التاريخ إلى أبعد الحدود فقد جمع أحمد أمين الموقفين كما جمعهما طه حسين .

(١٢) تقدير حقيقة وطبيعة الدور البارز لأعلام المسلمين في مجرى التاريخ الإسلامى :- ربما يمكن القول بأن تميز أحمد أمين ككاتب تراجع كان وراء هذه القدرة ، ولكن ما يعنينا هنا أن نشير على سبيل المثل إلى لمحات أحمد أمين الذكية فيما يتعلق بعلمين من أعلام الإسلام :

١- رابعة العدوية : كان أحمد أمين يرى في رابعة العدوية آراء تخالف آراء كل السابقين سواء في مجمل رأيه فيها أو في تفاصيل حياتها ، فهو يقول مثلاً : « وقد روى أنها قابلت الحسن البصرى وسمعت منه ، والذي يقارن بينهما يرى أن الحسن كان مغموراً بنزعة الخوف ، وأما هى فكانت مغمورة بنزعة الحب ، ولا شك أن نزعة الحب أرقى بكثير من نزعة الخوف » و يقول أحمد أمين في موضع تال : « قديجوز أن يكون من أتى بعدها قد تأثر بمعانى الحب التى قيلت فى الثقافات المختلفة أما هى فما نظن أنها تأثرت بذلك ، وإنما هو موجدة وجدتها فى نفسها تغنت لها الغناء بهيجاً كالموجدة التى كانت عند الخنساء فغنت لها طويلاً غناء حزيناً » .

٢- الغزالي : يقدر أحمد أمين الإمام الغزالي بصفة خاصة إلى الحد الذي يجعله يقول في شأنه : « وكان لكتبه وتعاليمه أثر كبير في حياة المسلمين بدليل تاريخ المسلمين قبله وبعده » ويعدد أحمد أمين في ذكاء شديد مجموعة من الظواهر التي يدل بها على هذا الرأي فيذكر :

(أ) أن الفقهاء كانوا يعتمدون على ظواهر الشعائر من وضوء وصلاة وعدد ركعات فجاء هو فبث فيها الروح وجعلها كما كانت في الحال الأول في صدر الإسلام أهم أركانها ، فالصلاة ليست مجرد حركات إنما هي ذلك مع خشوع القلب.

(ب) كان المتصوفة قد ارتكنوا إلى الحب الإلهي فسكنوا واطمأنوا ولم يلتزم بعضهم بالواجبات الدينية التزاماً دقيقاً ، فجاء الغزالي وأعاد إلى النفوس الخوف من الله على طريقة الحسن البصري .

(حـ) حبيب التصوف إلى الناس وأقر الاعتقاد بالمكاشفة وأنها تصل بالمعرفة إلى ما لم يصل إليه العقل .

(جـ) وافق الصوفية على القول بكرامة الأولياء .

(د) فلسف الدين فإذا قرأت أي باب من الأبواب رأيت يعرضها عرضاً غير عرضهم فعرضهم جاف كالقوانين ، وعرضه لطيف كالقطعة الأدبية .. إلخ .

ويعود أحمد أمين في ص ١٦٩ فيكرر ذات المعنى بعبارة أخرى إذ يقول : « وعلى الجملة فيظهر لي أن الإسلام في العصور المتأخرة عن الغزالي كان متأثراً بتعاليم الغزالي وكتبه »

هذان كما ترى نموذجان لقدرة أحمد أمين على إضفاء الفضل الحقيقي لأصحابه من أعلام الإسلام . أما طه حسين فلا شك أنه كان هو الآخر يعيد رسم الشخصية من شخصيات التاريخ بحيث يظهر دورها بصمة واضحة في تاريخ الفكر والحياة .

(١٣) **النجاة من التعصب للفهم الشخصي** : أنت ترى طه حسين على ما عرف عنه من ميل شديد إلى ترجيح رؤاه الذاتية معتدلاً أشد الاعتدال في كل ما يصدر من أحكام حين كتب الإسلاميات التي نتناولها في هذا الكتاب، ولعله كان أقرب ما يكون إلى الصدق حين عبر بنفسه عن نفسه في مقدمة «الفتنة الكبرى» حيث يقول : « وأنا أريد أن أنظر إلى هذه القضية نظرة خالصة مجردة ، لا تصدر عن عاطفة ولا هوى ولا تتأثر بالإيمان ولا بالدين ، وإنما هي نظرة المؤرخ الذي يجرد نفسه تجريداً كاملاً من النزعات والعواطف والأهواء مهما تختلف مظاهرها ومصادرها وغاياتها » . ثم يُردف طه حسين فيروى أن سعد بن أبي وقاص رحمه الله كان على رأس الذين اعتزلوا الفتنة ولم يشارك فيها وقال : « لا أقاتل حتى تأتونى بسيف يعقل ويبصر وينطق : أصاب هذا

وأخطأ ذاك » ويتبع طه حسين هذا بقوله : « فأنا أريد أن أذهب مذهب سعد وأصحابه رحمهم الله ، لا أجادل عن أولئك ولا عن هؤلاء ، وإنما أحاول أن أتبين لنفسى وأبين للناس الظروف التى دفعت أولئك وهؤلاء إلى الفتنة وما استتبعت من الخصومة العنيفة التى فرقتهن وما زالت تفرقهن وستظل فى أكبر الظن إلى آخر الدهر » .

(١٤) إتاحة التاريخ الإسلامى مقروءاً بطريقة أدبية مشوقة للقارئ العربى : ذلك أن كتابة التاريخ هى التى تجعله يميل إلى ناحية من ناحيتين أن يكون أدباً مقروءاً أو سهل القراءة ، أو كتاباً دراسياً مهجوراً أو مؤهلاً للهجران . هذا المعنى قد يكون غائباً عنا اليوم ونحن نستمتع بالنعمة ، بيد أن تقدير الظروف التى كتبت فيها هذه الكتب الرائعة لا بد أن يكون واضحاً أمامنا ، وذلك أننا إذا رجعنا بذاكرتنا إلى العصر الذى كتبت فيه هذه الكتب فإننا نجد بيئة غير تلك التى نعيشها اليوم وغير تلك البيئة الممتازة التى عاشها جيل آبائنا . وهذا هو جورجى زيدان على سبيل المثال فى مقدمة تاريخ التمدين الإسلامى يروى أنه لم يكن فى وسعه أن ينشر تاريخ التمدين الإسلامى هكذا مرة واحدة ولا أن يفاجئ الناس به وإنما هو يعترف بأنه مهد لذلك كثيراً ... وأقرأ معنى قوله : « وأخذنا نهىء أذهان القراء على اختلاف طبقاتهم وتفاوت معارفهم ومداركهم لمطالعة هذا التاريخ بما ننشره من الروايات التاريخية الإسلامية تباعاً فى الهلال لأن مطالعة التاريخ الصرف تثقل

على جمهور القراء ، وخصوصا في بلادنا والعلم لا يزال عندنا في دور الطفولة .. فلا بد لنا من الاحتياال في نشر العلم بيننا بما يُرغب الناس في القراءة .. والروايات أفضل وسيلة لهذه الغاية .» بل إن طه حسين نفسه يكتب مطولاً في هذا المعنى بعد نجاح الخطوات المباركة ، في مقدمة كتابه على هامش السيرة إلى أن يقول : « فإذا استطاع هذا الكتاب أن يحبب إلى الشباب قراءة السيرة خاصة وكتب الأدب العربي القديم عامة والتماس المتاع الفني في صحفها الخصبة فأنا سعيد حقاً موفق لأحب الأشياء إلى وأثرها عندي .

بقى أن نتحدث باعتزاز عن هذا الأدب وهذا التشويق الذي تحفل به كتابات الأدباء وهو حديث يدخل في نطاق الحديث عن العمل الأدبي بأكثر مما يدخل في نطاق الحديث عن العمل التاريخي ولكن حسبنا في هذا المقام أن نأخذ مثلاً واحداً فنأمل هذا التقسيم الأدبي الجميل والمشوق الذي وضعه أحمد أمين لعصور الإسلام فجراً وضحى وظهراً ولنقارنه مثلاً بما يسمى في تاريخ الفراعنة بالدولة القديمة والحديثة والمتأخرة والحديث في القديم والقديم في الحديث ، أو ما يسمى بعصور الأسرات .. إلخ) ألم تفقد هذه الحقب الحظ الذي أوتيته الحقب التي أرخ لها أحمد أمين ؟

الفصل الثالث

سمات منهج أدباء النوير

(١) النظر إلى التاريخ الإسلامى كجزء من الدراسات الإسلامية :
فلا بد لكتابة التاريخ الإسلامى أن تنطلق من هذا المفهوم ولا بد لإجادتها من الإلمام بدراسات القرآن ولهجاته وأحكام نزوله وبلاغته ..
إلخ والإلمام بعلوم الحديث والفقه والأصول والتوحيد والتشريع ، وقد أفاض فى الحديث عن أهمية هذه المقومات كثير من المؤرخين لعل أبرزهم الدكتور أحمد شلبى فى مقدمة كثير من كتبه .

وربما كان هو هذا المعنى الذى عناه الدكتور أحمد فؤاد الأهوانى هو الآخر بقوله : « ولذلك كانت مهمة مؤرخ الحضارة الإسلامية مهمة شاقة عسيرة ، تحتاج إلى إحاطة شاملة بكثير من العلوم من تفسير وحديث وتاريخ وفقه وأدب واجتماع واقتصاد وفلسفة وعلم كلام وتصوف .. وعلى الجملة كافة العلوم المكونة للحضارة » .

ومما لا شك فيه أن دراسة طه حسين وأحمد أمين الأزهرية ثم شبه الأزهرية وكذلك البيئة التي عملا فيها قد ساعدتهما على التفوق (لاالتمكن فحسب) من كل هذه العلوم والدراسات الإسلامية ، فجاءت كتابتهما لهذا التاريخ كأبرز نموذج في هذا المجال حين يتاح للتاريخ الإسلامى مؤرخ تسعفه على الدوام معارفه الإسلامية وثقافته الدينية وتعيينانه على الفهم الجيد والتحليل العميق .

(٢) إجابة استخدام المصادر التاريخية : لا شك أن القرآن الكريم والحديث الشريف كانا على رأس المصادر التى أفاد منها الأدباء الذين كتبوا التاريخ الإسلامى ، وقد ساعدتهم على الإفادة القصوى من هذين المصدرين إلمامهم التام بها الذى قد يصل إلى مرحلة شبه الحفظ أو الحفظ عن ظهر قلب حتى أصبح من اليسير تماماً عليهم أن يعرفوا فى كل آن مواقع خطاهم ، وبخاصة فى التأريخ للفترة الأولى من الدولة الإسلامية فى عهد النبى .

وعلى الرغم من قلة مصادر كتابة التاريخ التقليدية كالحفريات والدرسات القائمة على علوم النميات .. إلخ فقد استطاع هؤلاء أن ينتبهوا إلى كل ما أثمرته مثل هذه الدراسات من نتائج .. وإن كان دور هذه المصادر فى الحقيقة أقل أثراً فى صياغة أو كتابة التاريخ الإسلامى .

(٣) الدقة فيما يتعلق بالوقائع التى تتصل بالنبى عليه الصلاة والسلام : من سمات البحث العلمى أن يفيد الإنسان من الخطأ الذى يقع فيه ، وربما يندرج تحت هذا الباب ما حدث لطله حسين فى أعقاب إصدار كتابه عن الشعر الجاهلى ، بيد أنه من الطريف أن نذكر

أن طه حسين ظل واعيا للدرس الذي تلقاه من هذه المعركة وظل كذلك (وبنفس القدر) يعاني من السمعة التي ترسبت مع كثرة ترددها .. على حين أن طه حسين نفسه كان قد أصبح أشد الأدباء جميعا (على ما نظن) تحرزاً في رواية ما يتعلق بالنبي صلى الله عليه وسلم إذ يقول في مقدمة على هامش السيرة : « فإذا اتصل الخبر بشخص النبي فإنني أردته إلى مصدره ليستطيع من شاء أن يرجع إليه : لا احتل في ذلك تبعة خاصة لأنني لا أذهب فيه مذهباً خاصاً إلا أن يكون تبسطاً في الشرح والتفسير واستنباط العبرة والوصول إلى قلوب الناس » .

(٤) حرية الفكر : كان أحمد أمين حر الفكر إلى أبعد الحدود لا يقول إلا ما يعتقد ولم يكن أبداً من الحريصين على الأخلاق المشجعة على مصانعة السلطان أو تملق الجماهير أو مشايعة الأهواء .

ولعلنا نستشهد هنا بقول الدكتور الأهواني عنه : « تبدو هذه الحرية في الجهر باعتقاداته الدينية على الرغم من مصادمتها لمشاعر الجمهور ومخالفتها للمألوف من التقاليد طويلة الأمد . فقد جاهر بالانتصار لمظهر المعتزلة أهل العقل في الإسلام ونادى بالرجوع إليه مع أن المسلمين عارضوا ذلك المذهب منذ القرن الرابع ، وحكموا على أصحابه بالكفر وحرقوا كتبهم ومنعوا تدريسها في مدارسهم ، وجاهر برأيه في الشيعة ومعتقداتهم حتى كاد تصيبه من جراء ذلك محنة عظيمة حين كان ببغداد بعد أن أصدر فجر الإسلام » .

وهكذا ترى أن أحمد أمين لم يبال بالمتعصبين لأهل السنة كما لم يبال بالمتعصبين لأهل الشيعة ، وكان طه حسين هو الآخر نموذجاً لحرية الفكر بيد أنه - والله أعلم - كان يعاني في أعماق نفسه دائماً من آثار أزمة كتابه في الشعر الجاهلي ، وربما كان أحمد أمين كان على عكس ما قد يعتقد الناس أكثر من طه حسين قدرة على المجاهرة باعتقاداته الدينية بل وقد فعل ذلك في مواضع ومناسبات عديدة ليس هذا موضع تفصيل القول فيها .

(٥) وضوح الفكرة : تميز أحمد أمين وطه حسين في كتابتهما بوضوح الفكرة ، وقد كانت هذه السمة من أبرز السمات التي حببت انتاجيهما إلى القراء كما ساعدت بقدر كبير على استحواذ أعمالهما للأحترام والذیوع والخلود ، وسأطلع القارئ على فقرة واحدة لأحمد أمين تضم أحكاماً كثيرة متتابعة ولكنها كلها تمثل نتائج علمية ممتازة يصعب على الدارس أن يصل إليها إلا بعد جهد جهيد وتوفيق مقدور ، ولكن أحمد أمين وهو مَنْ وصفناه بأنه تميز بوضوح الفكرة يسردها كما لو كان يعدد بعض البديهيات التي لا جدال حولها ، يقول أحمد أمين في حديثه عن الشيعة : « والحق أن التشيع كان مأوى يلجأ إليه كل من أراد هدم الإسلام لعداوة أو حقد . ومن كان يريد إدخال تعاليم آبائه من يهودية ونصرانية وزردشية وهندية ، ومن كان يريد استقلال بلاده والخروج على مملكته ، كل هؤلاء كانوا يتخذون حب أهل البيت ستاراً

يضعون وراءه كل ما شاءت أهواءهم .. فاليهودية ظهرت في التشيع بالقول بالرجعة ، وقال الشيعة : إن النار محرمة على الشيعة إلا قليلا ، كما قال اليهود « لن تمسنا النار إلا أياما معدودات » والنصرانية ظهرت في التشيع في قول بعضهم : إن نسبة الإمام إلى الله كنسبة المسيح إليه .. وقالوا إن اللاهوت اتحد بالناسوت في الإمام ، وإن النبوة والرسالة لا تنقطع أبداً فمن اتحد به اللاهوت فهو نبي ، وتحت التشيع ظهر القول بتناسخ الأرواح وتجسيم الله وال حلول ، ونحو ذلك من الأقوال التي كانت معروفة عند البراهمة والفلاسفة والمجوس من قبل الإسلام ، وتستر بعض الفرس بالتشيع وحاربوا الدولة الأموية وما في نفوسهم إلا الكره للعرب ودولتهم والسعى لاستقلالهم .. إلخ) .

وغنى عن البيان ما تميز به أسلوب أحمد أمين من وضوح وبعد عن المحسنات وعن التقعر معا ، حتى كاد بعض زملائه من الأدباء الكبار يخرجونه من زميرتهم بسبب هذا البعد عن التقليدية . وليس من شك أنه كان بإمكان أحمد أمين أن يقدم لقارئه أسلوب مسجوعا أو ممتعا ولكنه أثر أن يعطى الاهتمام الأول للفكرة والمعنى .. وكان أميل إلى التعبير البسيط المعبر ، أما نصاعة أفكار طه حسين وجلالها فهو الأمر الذي لا يحتاج إلى مزيد من الحديث عنه .

(٦) الانتصار للعقل : ينبغي لنا أن نفهم أن التأريخ للحياة العقلية

هو أصعب الجوانب في تأريخ الحضارات لأنه على الأقل يحتاج مثلاً إلى

عقل واع مدقق واسع الأفق قادر على التحليل والاستيعاب والربط بين الظواهر المتباينة . ولا شك أن أحمد أمين كان أبرز الذين انتصروا للعقل في كتابتهم مع أنه كان يحلل العقل وينقده ، ولكنه حله بالعقل ونقده بالعقل ، وربما كان هذا هو ما أضفى على كتاباته مظهر الفلسفة مع أنها لم تبدأ من منطلق فلسفى وإن انتهت إلى أن أصبحت هكذا .. أما طه حسين فكان لا يفتأ ينادى أنه لن ينتصر فى درسه للروايات إلا للعقل ، وكان يفعل . وربما ساعد أحمد أمين على هذا التفوق العقلى فى دراسة التاريخ أنه عمل فى فترة مبكرة من حياته قاضيا شرعيا حيث أتيحت له الفرصة لتدريب عقله ووجدانه على استنباط الحق مما يراه من أوراق أو أقوال متعارضة متراكمة أمامه ، وظاهر كل منها الحق ، وقد أفاد أحمد أمين من ممارسة القضاء القدرة على تمحيص الرواية التى أمامه ومبلغها من الصحة ، ومدى الباطل الذى يستتر وراء الدعوى المزيفة .: وهكذا . انظر إلى دقته وحكمته الشديدة وهو يروى قصة قول كعب الأحبار لعمر: اعهد لمن بعدك فإنك مفارق بعد ثلاث ، وإنى أرى ذلك فى التوراة ، فيسأله عمر: وهل تجد عمر بن الخطاب فى التوراة ، فيقول لا.. ولكنى أرى وصفه .. إلخ) يروى أحمد أمين هذه القصة فى معرض حديثه عن شخصية كعب الأحبار وعلمه .. إلخ) ولكن لا يفوته أن ينبهنا إلى ما لم ينتبه إليه أحد من قبله فيقول ما معناه : « وهذه القصة لا تدلنا على مقدار علم كعب الأحبار بالتوراة بقدر ما تدلنا على تورط كعب الأحبار فى مؤامرة قتل عمر بن الخطاب » !!!

وكان طه حسين هو الآخر صاحب قدرة على الحكم النافذ إلى الحقائق بفضل اشتغاله المستمر والمتصل بالمسائل الإدارية والتنفيذية وانغماسه الدائم في السياسة .

(٧) تقدير حدود العقل : على الرغم من التقدير الشديد للعقل في الوصول إلى ما وصل إليه أدباء التنوير من بحث ممتاز إلا أن طه حسين كان يؤمن تماماً بأن للعقل حدوداً ، وأن العقل ليس كل شيء وهو يصوغ في هامش السيرة هذا المعنى تصرّحاً واضحاً إلى أبعد حدود الوضوح حين يقول : « وأحب أن يعلم الناس أن العقل ليس كل شيء وأن للناس ملكات أخرى ليست أقل حاجة إلى الغذاء والرضا من العقل ». قد يقال إن طه حسين يقصد دغدغة حواس الناس ولكن الحق أنه يقصد ألا ننكر على حواس الناس بعض رغبتها في الغذاء تماماً كما أننا نتيح الغذاء للعقل .

ونرى هذا الخلق من تقدير حدود العقل كأوضح ما يكون في كتابات أحمد أمين حين يتحدث عن الخلاف بين المعتزلة والأشاعرة في آخر جزء من كتابه ظهر الإسلام ص ٧٦ فيقول : « والناظر إلى الخلاف (يقصد الخلاف على الذات والصفات) يرى أن كلا من المعتزلة والأشعرية جاوزوا حرصهم ودخلوا في سفسطات لا طائل تحتها ، وليس العقل البشرى بمستطيع شيئاً من ذلك . إلا أننا لا نستطيع أن نقول بالنسبة لأنفسنا إن كان علمنا غير ذاتنا وقدرتنا غير ذاتنا أو هي ، فكيف

نستطيع أن نقول ذلك في الله ، إن عقولنا ضعيفة لا تصلح إلا لخدمتنا في الوصول إلى أغراضنا في الحياة الواقعية ومحاولة الوقوف على هذه الموضوعات ليست في متناول العقل البشري ، إن العقل البشري لا يستطيع أن يدرك حقيقة أى شىء إدراكا تاما ، وكل ما يستطيع أن يدركه هو بعض صفاته .. » .

وبالإضافة إلى هذا فقد كان الرجلان وبخاصة أحمد أمين ملتزمين إلى أبعد الحدود بالتواضع الشديد فيما كتباه لا يزعمان أولية ولا أسبقية، ولا عبقرية ، ورغم كل هذا الجهد الذى بذله أحمد أمين فإنه كان يقول فى تواضع حقيقى: « على أنى لم أقل إلا الكلمة الأولى فى الموضوع »، وفى موضع آخر يقول : إن هى إلا نظرة الطائر .. وهكذا .. ومع أن مثل هذه العبارات يمكن النظر إليها على أنها بمثابة تحريكات من أحمد أمين إلا أن روح التواضع الحقيقى فيها ملموسة تماما .

وهذا هو طه حسين يقول فى مقدمة كتابه على هامش السيرة : « ولست أريد أن أخدع القراء عن نفسى أو عن هذا الكتاب ، فإنى لم أفكر فيه تفكيراً ولا قدرته تقديراً ، ولا تعمدت تأليفه وتصنيفه كما يتعمد المؤلفون ، إنما دفعت إلى ذلك دفعا ، وأكرهت عليه إكراها ورأيتنى أقرأ السيرة فتمتلىء بها نفسى ويفيض بها قلبى وينطق بها لسانى وإذا أنا أملئ هذه الفصول » .

(٨) عدم الخلط في الأحكام : كان أحمد أمين يستقرئ الموضوع مع قارئه قبل أن يصدر أحكامه ، ولم يكن من أصحاب الأحكام الجاهزة أو الأفكار المسبقة التي يفرضها على قارئه مستعينا بتحوير الحقائق والمعطيات لتعطي إثباتاً لما يريد . خذ مثلاً حديث أحمد أمين عن علماء الحضارة الإسلامية تجده حديثاً سلساً يعنى بالعلم نفسه قبل أن يعنى بأى استنتاجات أخرى كتلك التي يرددها ابن خلدون (وتناقضها عنه الناقلون) حين قال إن حملة العلوم في الإسلام أكثرهم من العجم ، ثم يضطر ابن خلدون نفسه إلى أن يلجأ إلى معيارين مختلفين لنفى العروبة عن هؤلاء العلماء فتارة يستخدم معيار الجنس ، وتارة يستخدم معيار البيئة .. فينفى العروبة عن عاشوا في بلادهم وكانوا من أصول أخرى .. كما ينفيها عن العرب الذين عاشوا خارج جزييرتهم !! لا لشيء إلا لإثبات مقولة ظاهرها الحق أو الذكاء بينما هي الباطل بعينه .. أحب أن أذكر للقارئ في مقابل هذا أن أحمد أمين لم يلجأ أبداً إلى مثل هذا الأسلوب لأنه كان يستقرئ الحوادث والواقع مع قارئه .. فلا يكاد يصدر الحكم الذي يريده إلا وقد أنطقه قارئه قبل أن ينطقه قلمه !! كان أحمد أمين يكيل بمعيار واحد ، وكذلك كان طه حسين .

(٩) سعة الأفق : تمثلت في أحمد أمين سعة الأفق على أوضح ما يكون .. وعلى الرغم من أنه عاش ثقافة عالم الدين ودارس الأزهر فإنه لم يكن يعتبر نفسه حامى حمى الدين فيفصله مثلاً عن المداخل الأخرى في كتابته ، وإنما هو ينهج المنهج العلمى في التقسيم فيتحدث عن الدين

نفسه ضمن الثقافات المختلفة في الباب الثانى .. ثم هو يتحدث عن المذاهب الدينية في الباب الرابع . ولا تسول له نفسه أبدا أن يخرج عن التقسيم الاجتماعى العلمى الذى لم يكن كثيرون يومها يلمون به . وكان طه حسين بحكم المدرسة الفرنسية التى انتمى إليها منذ بعثته إليها قادرا على أن يستشرف — هو الآخر — على الدوام الآفاق الجديدة التى تجعل فهمه لكل الجزئيات صادرا عن الفهم الجيد للكليات الكبرى فى العلوم الإنسانية جميعها .

ولعل تعمق دراسة شخصيات أدباء التنوير وحياتهم تعيننا على فهم طبيعة المكونات الممتازة التى كونت ثقافتهم على هذا النحو .. وعلى سبيل المثال فقد كانت لأحمد أمين خلفياته الفلسفية (التى ربما يغفل عنها البعض) فقد ترجم كتاب مبادئ الفلسفة فى أول عهده بالتأليف ، وكان هذا الكتاب من أوائل ما طبعته لجنة التأليف والترجمة والنشر .. كذلك فقد يذكر القراء أن أحمد أمين ألف بالاشتراك مع د. زكى نجيب محمود « قصة الفلسفة اليونانية » كما ألف كتابا مدرسيا فى « الأخلاق » كان يدرس لطلبة المدارس الثانوية .

كذلك كان طه حسين نموذجا لأستاذ الأدب فى العصور الوسطى الذى يلم بكل الآداب التى يقدر لها أن تعترض بحثه العلمى فى الأدب فى كل أن . ولا شك أن هذه الخلفيات كلها وغيرها قد ساعدت على اتساع الأفق عند الرجلين فيما كتبوا وألفوا .

(١٠) إيثار الموضوعية على الزمن والأبجدية : لم يحفل أحمد أمين بالمنهج التاريخي الذي يقدم سنة ١٠ على سنة ٣٠ لأنه لم يكن من أنصار أن يكتب تاريخ الحياة العقلية بطريقة الحوليات ، ولم يكن من أنصار الحديث عن الإعلام متفرقين مبعثرين لا تجمعهم إلا بدايات حروف اسمائهم لأنه لم يكن يرى أن يكتب تاريخ الحياة العقلية على طريقة الطبقات ، إنما كان يعنى بأن يبرز الوحدة الموضوعية .

وهو يقول في هذا المعنى في مقدمة الجزء الثالث من ظهر الإسلام (وهو الجزء الخاص بالاندلس) « وكان أمامي أن أؤرخها تاريخاً أفقياً أو تاريخاً رأسياً ، بمعنى أن أؤرخ الحياة العقلية في عصر ثم اتبع ذلك بالعصر الذي بعده وهكذا .. أو أن أؤرخ كل علم من مبدأ ظهوره في الأندلس وكيف تدرج .. حتى آخر أمره فيها .. ففضلت الطريق الثاني لأنه أنسب » . وكان طه حسين يفعل مثل هذا على مدى فصول الفتنة الكبرى فيتناول الرواية ويتناول ما سبق أحداثها وما أعقبه ، ثم يعود ، إلى رواية أخرى ، لا يؤثر شيئاً على الوحدة الموضوعية !!

(١١) عبقرية التقسيم : كان أحمد أمين وكذلك كان طه حسين من أكثر أهل الأدب قدرة على تحليل الطيف وتبيين مراحله اللونية المختلفة . ويمكن لنا أن نتأمل أساس فصل فجر الإسلام من مرحلة ضحى الإسلام فنقرر أن أحمد أمين لم يجد صعوبة في ذلك .. يبد أننا لانستطيع أبداً أن ننكر عبقريته الممتازة في فصل ضحى الإسلام عن

ظهر الإسلام ، وهو الأمر الذى لخصه فى كلمات قليلة تعكس دراسة واعية وتفكيراً ممتازاً حيث يقول إنه « عصر يمتاز بلون علمى خاص ، كما أن له لونا فى السياسة والأدب خاصاً .. امتاز بغلبة العنصر الفارسى ، وبحرية الفكر إلى حد ما ، وبدولة المعتزلة وسلطانهم وبتلون الأدب من شعر ونثر تلويحاً احتذى على كر الدهور واختلاف العصور ».

(١٢) القدرة على الفلسفة :وصف د. أحمد فؤاد الأهوانى جهود

أحمد أمين فى تأليف فجر الإسلام وضحى الإسلام وظهر الإسلام بأنها عملية تحليل للعقل البشرى . والأهوانى يرى أن جهد أحمد أمين فى هذا العمل هو الفلسفة على التحقيق «حاول أن يلتمس العلل البعيدة التى غزت العقلية الإسلامية ونمتها وصقلتها وشكلتها فى شتى الصور على مر العصور . واقتضى منه هذا التحليل أن يرجع إلى العوامل الدينية المستمدة من الإسلام وإلى العناصر الدخيلة .. وفعل أكثر من ذلك أنه نظر إلى العقل الإسلامى فشرّحه فى حرية شديدة ، وانتقل من التحليل إلى الأفكار التركيبية التى انتهت إليها الحياة العقلية حتى تحققت فى الحياة ، واستوت فى مظاهر السلوك ، وبرزت فى الأقوال المسطورة والكتب المدونة والعلوم المنتشرة .. ومن هذا الوجه كانت لأحمد أمين فلسفة أبرزها فى أعلى كتبه شأنها وهو فجر الإسلام وضحاها وظهره » .

ولمن يريد الإطلاع على جوهر فلسفة أحمد أمين كما صورها الأهوانى أن يرجع إلى المقدمة التى كتبها الدكتور الأهوانى فى مقدمة الجزء الثالث من

ظهر الإسلام . صفحات ٨ ، ٩ على سبيل المثال . بيد أننا نود أن نثبت للقارئ ما ذكره الدكتور الأهواني (ص ٩) من إجابته على سؤال أين تعلم أحمد أمين الفلسفة حيث يجب على هذا بقوله « الحق أنه علم نفسه بنفسه إلى جانب نزوع فطرته إلى محبة الحق وإيثار الحكمة وليست الفلسفة شيئاً آخر إلا معرفة الحقيقة لذاتها وطلب الحكمة » . وفي موضع آخر (ص ١٠) يقول الأهواني : « فالفكر في نظر أحمد أمين أشبه بالنهر الجاري المتدفق، الحياة الاجتماعية راوفده ، والحركة العلمية مجراه ، والدين مصبه وغايته ، ونجد هذه الفلسفة واضحة أعظم الوضوح في فجر الإسلام ، ومفصلة في الضحى ، وأشد تفصيلاً في ظهر الإسلام » .

(١٣) الإدراك العميق لحقيقة التواصل التاريخي : قد يدرك كثيرون من الباحثين والمثقفين والكتاب والمؤرخين أن الحاضر ليس بمنقطع عن الماضي أو المستقبل ولكننا لا نستطيع أن نتعمق هذا الإدراك إلى فهم الأثر الحقيقي للماضي في الحاضر أو في المستقبل .. ذلك أن هذا الأثر لا يخضع تماماً لعلاقة السببية ، ولا لعلاقة رد الفعل المباشر فحسب ولكنه في الحقيقة ينشأ من تراكمات ، ومن بعض بقايا أورواسب خفية .. ونحن قد ندرك هذا أيضاً ولكننا لا نستطيع تحديد هذه العلاقات على وجه اليقين .

ولكن أحمد أمين كان واعياً تماماً لمثل هذه الآثار العميقة التي لا بد له من أن يتناولها في موضع يبدو وكأنه غير موضعها ، وهو لهذا يتحدث

بروح العالم الجليل عن هذا الذى يفعل ، وكأنه يعتذر عن هذا الذى يفعل
فيقول فى مقدمة ضحى الإسلام : « على أنى أحيانا ما يدعونى إيضاح
الفكرة إلى أن أربطها بما كان منها فى العصر الذى قبله .. كما قد يدعونى
تسلسلها إلى أن أتجاوزه إلى العصر الذى بعده !! » .

(١٤) انعكاس المقومات الممتازة فى شخصية أدباء التنوير على
جهودهم: يمكن لنا أن نحدد كثيراً من الصفات الشخصية التى كانت
وراء نجاح أحمد أمين (على سبيل المثال) فى هذا الجهد :

(أ) فقد كان مثال الجد والاجتهاد الواضح فى كل أعماله وفى كل
حياته التى بذل جهده فيها من أجل الأفضل دائماً، لم تنتب
هذه الحياة على الإطلاق فترة ضياع أو فترة خمود أو كسل .

(ب) كان نموذجاً للأمانة المطلقة ، فيما ينقل ويروى ، فلم يعهد عنه
أنه مارس تحويراً للنصوص ولا تشويهاً ولا تعسفاً فى
تفسيرها.

(ج) التزم أحمد أمين الصدق المطلق مع نفسه ، فلم تسول له نفسه ،
ولا سول لها الاعتقاد فيما لم يطمئن إليه قلبه من أجل محاباة
الجمهور أو القراء أو الرأى العام .

(د) تجرد أحمد أمين من العواطف الخاصة ، فلم يظهر عنده أى ميل
لتضخيم صورة أو تقليل صورة أخرى من صور الحياة
العقلية.

(هـ) تجرد أحمد أمين بحكم انتمائه الفكرى من الأهواء المذهبية
التي عصفت بنفوس قرائه .

(و) تميز أحمد أمين بالإضافة إلى هذا كله بعقلية ممتازة فقد جمع
الاستقصاء الحسن إلى القراءة الجيدة إلى الفهم العميق إلى
الاستنباط الصائب .

(١٥) البعد عن التعصب للرأى السائد أو للرأى الذاتى : يمكن
للقارئ أن يكتشف بسهولة أن أحمد أمين لم يكن يقطع بالرأى إلا بعد
البحث والتنقيب ، وجمع الأدلة والبراهين ، وكان كثيرا ما يعطى الإيحاء
بأنه على استعداد للنزول عن رأيه إذا اتضح له بطلانه أو نبهه إلى ذلك
ناقد . وقد كان طه حسين هو الآخر ديكارتيا من الطراز الأول لا يثبت
الرأى إلا لينقده بل إنه قد ينقضه ، وربما كان طه حسين يفعل هذا بأداء
الأديب الساحر على حين كان أحمد أمين يفعله بطبيعة العالم العاقل
المتعقل ولكنهما على أى حال كانا من أبرز الذين تميزوا بهذا الخلق
الكريم .

(١٦) تقبل النقد : كان أحمد أمين بالذات من أوسع الناس صدرا
لتقبل النقد الموجه إليه ، ويقال إنه لم يسبق لكاتب أن خصص من
صفحات مجلته كل هذا القدر الذى أتاحه أحمد أمين لنقاده فى مجلة
الثقافة (وهى المجلة التى كان يتولى مسؤوليتها كاملة حتى تكاد لا تذكر

إلا ومعها اسمه) مهما كان لاذعا ، وقد صدّر أحمد أمين الطبعة التالية من فجر الإسلام بشكر الذين نقدوه وحلّوه . وفي مقدمة الجزء الثالث من ظهر الإسلام كتب في وضوح وصراحة راجيا القراء ... « لا كما يقول السابقون أن يغضوا الطرف عما فيه من عيوب بل أن يقيّدوها ويشرحوها ويبينوها لي ، حتى اتدرك ما لا يخلو من مؤلف من خطأ .. فالحياة العلمية إنما تحيا بالنقد وتتقدم بتمحيص الآراء وإظهار العيوب وحسن التوجيه » .

وربما كان طه حسين أقل قدرة على تقبل النقد من أحمد أمين ، ولكنه ربما عوض هذا بكثرة نقده لما يكتب أثناء كتابته له .

(١٧) **الوعى بالأدب المقارن :** لا شك أن الأدب المقارن يمثل وسيلة من أفضل الوسائل لدراسة التفاعلات الحضارية والتأثيرات المتبادلة بين الحضارات ، وهو الأمر الذي يمثل أهمية خاصة في التاريخ للحياة العقلية ، ومن حسن الحظ أن أحمد أمين قد تمتع بفهم عميق ووعى ممتاز بالأدب المقارن ، ويتضح لنا مثل الفهم عندما نقرأ لأحمد أمين فصله عن الأدب الصوفي في الجزء الرابع من ظهر الإسلام وتحليله لهذا الأدب حيث يقول : « وقد كان الأدب الصوفي نتاجا لجنسين مختلفين : الجنس السامي ويمثله الأدب الصوفي العربي ، والجنس الآري ويمثله الأدب الصوفي الفارسي . وعنده أن التصوف « السامي »

كله وله وحنين وإخلاص وحيرة مصدرها يتعلق بالإعجاب والحب
والعاطفة ، والسامى يحب فيحس عذاب الحب أو نعيمه إلى درجة بعيدة،
وقد يبالغ في هذا أو ذلك ، ثم يخرج عذاب نفسه شعراً دافقاً مملوءاً
بالسخط والضجر والألم والأنين والاطمئنان إلى هذا الألم والحنين .

أشكو وأشكر فعله فأعجب لشاك منه شاكر

فهذه عاطفة صادقة امتلأت بالحب وأورثت الألم ثم إن النفس عن
كل هذا راضية بل هى تسمو إلى أرفع منازل التضحية وتجود بالحياة
في سبيل الغرام وحرصاً عليه .

إن الغرام هو الحياة فمت به صبا فحظك أن تموت وتعذرا

أما الأدب في التصوف الأرى فكله غرام وحب ولكنه حب ، تمتزج فيه
العاطفة بالفلسفة يبدأ التصوف عنده بالفهم والإدراك ثم التفلسف .. أما
السامى فيبدأ بالشعور ولا يلزم أن يكون هناك شىء آخر .

ولا شك أن طه حسين كان هو الآخر من أبرز القادرين على عقد مثل
هذه المقارنات وإدراك هذه المفارقات والتوصل من خلال ذلك إلى ما قد
يفيد دراسة التاريخ .

(١٨) الإفادة من الخبرة في كتابة التراجم :تمثل الخبرة في كتابة
التراجم عنصراً من أهم عناصر القدرة على التفوق في كتابة التاريخ .

وربما يصعب على كثيرين تصور الفصل بين كتابة التاريخ وكتابة
التراجم وبخاصة مع الكتاب الممتازين الذين تمكنوا من الأدبين .

وفي الحقيقة أن كلا من أحمد أمين وطه حسين نموذج لكتاب التراجم الممتاز الذي يتفوق إذا ما تناول كتابة التاريخ . ولا شك أن كاتب التراجم يملك كثيرا من المقومات اللازمة لتفوق المؤرخ . فهو يستطيع البحث عن الأدوار المختلفة لنفس الشخص بحيث يرى تأثيره الحقيقي في التاريخ من دون أن ينساق إلى إخضاع الاتجاهات الشخصية للتيارات التقليدية أو المفترضة أو الصدفة المحضة !! أو بعوامل غير محددة .. وهو كذلك قادر على أن يجيد الحديث عن دور أبرز العناصر في صياغة الحوادث التاريخية ، وهو الإنسان نفسه ، الإنسان المؤثر في الأحداث وتعاقبها . وربما يلمس القارئ هذا المعنى إذا ما تأمل الفارق بين كتابة التاريخ على الطريقة التي بين أيدينا في كتابات أدباء التنوير وبين الكتابات الأخرى التي لا تمثل إلا صورة من صور التطبيق الأمين للرؤى المذهبية التي تنقمص للأدوار (الجبرية) أشخاصا لعبوا دورا ما على ساحة الحياة .

(١٩) دقة الاستشهاد وبراعته : كان أحمد أمين حريصا في « فجر الإسلام » و « ضحى الإسلام » وكذلك في الجزء الأول من ظهر الإسلام على أن يورد النص بحروفه ثم يتبعه بما يريد من تعليقات أو استنتاجات . ولكنه بدءا من الجزء الثاني من ظهر الإسلام أثر أن يترك هذا المنهج وقال : « أما في هذا الجزء فقد هضمنا ما قرأنا ثم حكينا ما خلص لنا من غير ذكر نص إلا من القليل النادر واكتفينا بذكر المراجع عقب كل باب »

ويبدو حياء أحمد أمين الشديد وهو يروى ذلك حين يردف بقوله :
«وعذرنا في ذلك ضعف الصحة وعدم قدرتنا على إثبات النصوص كما
قرأناها أو سمعناها ..على أن هذه الطريقة إنما اتبعت لكي يصدق
القارئ المؤلف في تأليفه ، فإذا كان قراؤنا لم يصدقونا مما سبق فعلينا
العفاء وإذا صدقونا اكتفوا منا بمسلكنا في هذا الجزء » . أما طه حسين
فكان يورد الرواية حين تكون الرواية غير متواترة ، ويشير إلى تواترها
فحسب إذا كانت كذلك ، ويعتذر عن عدم ذكر المصادر إذا كان قد انتهج
فيما كتب أسلوبه الذي عرف به والذي اتضح فيه شدة تمثيل الرواية
وتشريحها .

(٢٠) كثرة المراجع غير المباشرة : و بالاضافة إلى ما ذكرنا في
الفقرة السابقة نود أن نشير إلى أن القارئ لأحمد أمين وطه حسين قد
يجد كثيراً من الحقائق التاريخية مبثوثة فيما يكتبان ، ولكنه لا يجد
إكثراً من الأدبيين العظمين في ذكر مصادر هذه المعلومات ، ولوتخيل
القارئ الدراس أن واحداً من جيل الأكاديميين اليوم يكتب ما يكتبان
لكان عليه أن يطالع إشارات إلى المراجع تبلغ في حجمها ضعف المتن ..
ومع هذا فإن الأسلوب الذي اتبعه الأديبان لا يزعزع أبداً في ثقة القارئ
في رجوع طه حسين وأحمد أمين إلى المراجع . أو أن يؤكد ثقة هذا
القارئ في المؤلفين المحدثين !!

و ليس من شك أن طه حسين وأحمد أمين كانا يستطيعان أن ينهجا
ما ينهجه مؤلفو اليوم ، ولكنهما انتبها إلى ما هو أهم من هذا .. انتبها
إلى أن الأهم هو ذاك الذي يعبر عنه المؤرخون بقولهم : « تفكير المؤلف

وفهمه للأحداث » . وهكذا يجد القارئ نفسه وقد أحس بأن مؤلفه قد بحث أكثر مما جمع ، على حين يراوده الشعور المؤكد بأن المؤلفين المحدثين يجمعون بأكثر مما يبحثون ، أو بعبارة أدق ينجحون في إظهار قدرة على الجمع دون أن يعنوا لا بالبحث ولا بإظهار القدرة عليه .

(٢١) المرونة والتقدم في تنفيذ المنهج : لم يلزم أحمد أمين نفسه بمنهج واحد في كتبه ، ومع أن منهجه العام كان تقريبا التزام تقسيم الحديث على أبواب ثلاثة هي الناحية الاجتماعية ثم العلمية ثم الدينية إلا أنه في فجر الإسلام مثلا أخذ نفسه بطبيعة العصر الذي يؤرخ له فامتزجت الأبواب الثلاثة .

كذلك فقد اختص أحمد أمين الأندلس بجزء خاص من ظهر الإسلام وعلل ذلك بقوله : « وذلك لما تعرف من امتياز حضارة الأندلس عن باقى الحضارات الإسلامية ، ولسبب آخر هو امتداد هذه الحضارة طوال الفترة منذ فتح العرب الأندلس حتى خروجهم منه » .

ويتحدث أحمد أمين في كتابه حياتى (ص ٢٢٥) عن منهجه في فجر الإسلام فيقول : « فرسمت منهجه ورتبت موضوعاته ، وكنت إذا ما وصلت إلى موضوع أجمع مظاهره في الكتب ، وأقرأ فيها ما كتب عن الموضوع ، وأمعن النظر ، ثم اكتبه مستدلا بالنصوص التى عثرت عليها حتى أفرغ منه ، وانتقل إلى الموضوع الذى بعده وهكذا .. وكانت أكثر الأوقات فائدة الاجازة الطويلة إذ كنت أجمع الكتب التى يُظن أنها تبحث فى الموضوع ، وأحملها على دفعتين أو ثلاثة إلى مائدة وضعتها خلف بيتى فى مصر الجديدة ، وأبدأ العمل فى الساعة الثامنة صباحا وأجلس

على كرسى أمام المكتب أفليها واستخرج نصوصها واستخلص من كل ذلك ما أكتبه إلى ما بعد الساعة الواحدة جلسة واحدة أنسى فيها نفسى وأنسى كل شىء حولى .. وهكذا أفعل فى أيام العمل التى لا يكون على فيها دروس فى الجامعة حتى ينتهى الجزء .

ويتحدث أحمد أمين عن منهجه فى تأليف ضحى الإسلام فيقول : «وترقيت فى منهج التأليف فى ضحى الإسلام فقد رتبت موضوعاته التى تستغرق ثلاثة أجزاء وأحضرت ملفات كتبت على كل ملف اسم الموضوع، ملف عليه اسم المعتزلة وآخر الخوارج ، وثالث أثر الجوارى فى الأدب ، ورابع الثقافة الهندية .. إلخ) ثم حصرت أمهات الكتب التى تبحث فى هذه الموضوعات كالأغاني والحيوان و الجاحظ وكتب ابن قتيبة ورسائل الجاحظ وكتب ابن المقفع ونحوها أقرؤها كلها فإذا وصلت إلى نص يتعلق بالمعتزلة كتبت فى ورقة صغيرة مغزى النص ورقم الصفحة فى الكتاب ووضعته فى ملف الموضوع وكذا حتى أفرغ من هذه الكتب كلها.. وهكذا دور التحضير .. فإذا جاء دور الكتابة استخرجت ملف الموضوع وأعدت النظر فى الجذائز ورتبتها حسب الترتيب المنطقى وفكرت فيها وبدأت أكتب .. وكلما عنت فكرة جديدة رجعت إليها فى مظانها .. حتى ينتهى الموضوع فانتقل إلى ما بعده وهكذا.. » .

(٢٢) تناسب حجم المادة المكتوبة مع الأهمية التاريخية : كثيرا ما يعترى المؤرخ شعور خفى بأنه لا بد من الموازنة بين المادة التاريخية المكتوبة وبين الزمن (بمعناه الرياضى) الذى وقعت الأحداث فيه ، وبين المادة التاريخية المكتوبة بحيث يعطى لكل ما وقع فى السنة من أحداث

حظه من الكتابة بقدر زمنه .. وبحيث يخرج كتابه في النهاية أقرب إلى (الأجندة) التي تعطى لكل أيام السنة صفحات متساوية ، وفي الواقع أننا نجد هذا الخلق بارزا جدا في كتب الحوليات . وكثيرا أيضا ما يدفع التعصب (وأحيانا التسرع ، وأحيانا أخرى عدم الدرس الجيد) إلى أن يخرج كتاب التاريخ على نحو أصدق مايوصف به أنه كاريكاتيرى يعكس بوضوح منهج صاحبه في معالجة موضوعه .. خذ على سبيل المثال كتاب الدكتور فيليب حتى عن تاريخ الإسلام حين خصص مائة وخمسين صفحة للحديث عن العرب فيما قبل الإسلام ثم تحدث عن سيرة الرسول كلها في عشر صفحات . وهكذا فإن بعض المؤلفين قد يجدون أنفسهم كثيرا في حيرة من أمرهم ، وبخاصة إزاء الفصول الأخيرة التي يتعجلون كتابتها حتى ينتهوا من كتابة كتبهم بعد أن استغرقهم الوقت في الفصول الأولى ، ولكننا لانجد هذا المأخذ في جهد أحمد أمين ، قارن بين حجم كتاب فجر الإسلام وبين حجم كتاب ضحى الإسلام ثم بينها وبين حجم ظهر الإسلام وأقرأ لأحمد أمين اعترافه حين يقول « وكنت أقدر أن يكون في حجم كذا فإذا بى أجدنى مضطرا أن أجعله على نحو كذا » . وهذا هو عين المنهج العلمى الذى لا يتعسف صاحبه فى إلزام نفسه ما لا يلزم ، وإنما هو يعالج موضوعه بالقدر الذى لا بد لموضوعه أن يعالج فيه ..

(٢٣) **مثالية الحجم :** لا شك أن كتب أحمد أمين عن فجر الإسلام وضحى الإسلام وظهر الإسلام هى أكثر الكتب استحقاقا لوصف الامام النسفى المفسر العظيم لتفسيره بأنه ليس بالطويل الممل ولا

بالقصر المخل .. فقد استطاع أحمد أمين من خلال توسعه في كثير في بعض المواضع أن ينجو تماما من مغبة تعميم الأحكام ، وإطلاق القول على عواهنه على نحو ما نرى في كتابات أخرى مناظرة .. وقد أتاح له الحديث تحت عنوان محدد أن يستوفي الموضوع حقه . كذلك ابتعد أحمد أمين عن أن يكون قافزا بكتابته من موضوع إلى موضوع ، فنجا من ذلك الخلق الذي لا يمكن التعبير عنه بأصدق من الوصف الذي وصف به الدكتور عبد الوهاب عزام كتاب بارتولد (١٨٦٩ - ١٩٢٧) عن تاريخ الحضارة الإسلامية بأنه « يظهر الاقتصار في بعض فصوله حتى يشعر القارئ أنه انتقل من موضوع لم يستوفه إلى آخر لم يمهد له » . أما كتابا طه حسين عن الفتنة الكبرى فإنهما لا يزالان إلى اليوم أولى المصادر متوسطة الحجم للحديث عن هذه الحقبة . ومن حسن الحظ أن هذا لا يمنع من الاقرار بحقيقة أن مجموعة مؤلفات أدباء التنوير في هذا المجال تبقى كذلك قابلة للاختصار حتى تكون متاحة لمستويات مختلفة من الشباب ، وتبقى بنفس القدر قابلة للشروح والتعليقات والحواشي الكفيلة ببيان عظمة ما فيها من تركيز شديد .

الفصل الرابع

المكانة التاريخية لأعمال أدباء الشؤير

(١) إنشاء التاريخ لا تلوينه : كان على أحمد أمين وعلى طه حسين في هذه المجموعة من الكتب أن ينشئ التاريخ الإسلامى من أساسه ، فلم يكن دورهما فيما قدما من كتابات رصينة ترجيح رواية على أخرى أو توسيع متن سابق ، أو تلخيص كتابات متناثرة أو تجميع كتب تتناول عصراً واحداً . وإنما كانت المهمة (بأدق عبارة) هى إنشاء التاريخ من أوله ..

وهذا هو ذات المعنى الذى حاول طه حسين نفسه أن يعبر عنه حين قال فى وصف جهد أحمد أمين فى مقدمة ضحى الإسلام " إنه خاض حرباً ضد الغموض والإبهام " !! أى أن أحمد أمين لم يكن مُرجح رأى على رأى ولا مُحكما بوثيقة ، وإنما كان صاحب جهد واضح فى إزالة الغموض واللبس .

(٢) التاريخ للتاريخ والتاريخ للقراءة : يمكن القول بأن أعمال أحمد أمين كانت كلها من باب التاريخ للتاريخ ، وكان طه حسين هو الآخر يحب أن يكون له باع كبير في هذا المجال ، وقد قدم بالفعل صورة ممتازة ، يبدو أنه كان يرى أن في وسعه كذلك أن يخصص جهداً آخر من الكتابة التاريخية التي هي أكثر قرباً من جمهور الناس من التاريخ العلمى ..ولذا فإنه رأى في كتابه « على هامش السيرة » نموذجاً أقرب إلى النوع الثانى منه إلى النوع الأول ولهذا تجده يتحدث عن هذا المعنى في مقدمة كتابه على هامش السيرة فيقول : « هذه صحف لم تكتب للعلماء ولا للمؤرخين لأنى لم أرد بها إلى العلم ، ولم أقصد بها إلى التاريخ وإنما هي صورة عرضت لى أثناء قراءتى للسيرة فأثبتتها مسرعاً ، ثم لم أربنشرها بأساً ، ولعلى رأيت فى نشرها شيئاً من الخير فهى ترد على الناس أطرافاً من الأدب القديم قد أفلتت منهم »... إلى أن يقول بعد ٣ صفحات « إلى هذا النحو من إحياء الأدب القديم ، ومن إحياء ذكر العرب الأولين قصدت حين أملت فصول هذا الكتاب » .

(٣) عبقرية التاريخ للفكر : حين بدأ أدباء التنوير مشروعهم كانت الفكرة كما ذكرنا أن يختص أحمد أمين بالحياة العقلية وأن يختص عبد الحميد العبادى بالحياة السياسية وأن يختص طه حسين بالحياة الأدبية ، ولكن أحمد أمين وهو الوحيد الذى أدى دوره كاملاً ، قام بالإضافة إلى دوره بجزء كبير من الدور المفروض للعبادى و بجزء كبير من المفروض لطله حسين .

كان على أحمد أمين أن يتناول التاريخ من الناحية العقلية وبالناحية العقلية أيضا ، وهكذا كان عليه أن يتناول أصعب جوانب الحياة تأريخا . وهو يتحدث عن هذا المعنى بوضوح وجلاء في أول مقدمة ضحى الإسلام فيقول : « ولعل أصعب ما يواجه الباحث في تاريخ أمة هو تاريخ عقلها في نشوئها وارتقائها ، وتاريخ دينها وما دخله من آراء ومذاهب . ذلك أن مدار البحث في المسائل المادية وما يشبهها واضح محدود ، وما يطرأ عليها من تغير ظاهر جلي . أما الفكرة فإذا حاولت أن تعرف كيف نبتت ، وكيف نمت ، وما العوامل في إيجادها ، وما العناصر التي غذتها ، وما الطوارئ التي طرأت عليها فعدلتها أو صقلتها ، أعياك ذلك ، وبلغ منك في استخراجها الجهد . لأن الفكرة أول أمرها لا مظهر لها نستدل به عليها ، وقد تتكون من عناصر قد لا تخطر على بال ، ويعمل في تغييرها وتعديلها عوامل في منتهى الغموض . والمذاهب الدينية قد يكون الباعث عليها غير ما ظهر من تعاليمها ، قد يكون الباعث سياسيا ، وهي في مظهرها الخارجي مجردة من كل سياسة ، وقد يكون الباعث لها في إفساد الدين فتتشكل بشكل المتحمس للدين . وقد يكون المذهب صالحاً كل الصلاح ولكن يحكيه أعدائه فيشوهونه ، ويلغون فيه فيفسدونه ، فيقف الباحث حائراً ضالاً ، يتطلب بصيصاً من نور يهديه ، أو أثراً في الطريق سلكه مَنْ قبله فيحتذيه . وفوق هذا فالأفكار متنوعة والآراء متعددة وقضايا كل عصر تخالف ما قبلها ، ويراهها الباحث فيظنها أول وهلة جديدة لم ترتبط بما قبلها ولم تتصل به أية صلة فما عسى أن يكون بينهما من قرابة أو نسب وما قد يصل بينهما من

سبب. ففي سبيل الله ما لا يلاقى مؤرخ الفكرة من عناء لا يتناسب وما يحصله من انتاج .

ولا أظننى بعد ذلك فى حاجة إلى التعقيب على هذه الأفكار الواضحة المعبرة التى لخصت الموقف الذى استطاع أحمد أمين أن يتفوق فى معالجته له .

(٤) دور الشعر فى التاريخ الإسلامى فى عهد أدباء التنوير: لابد

لى أن أذكر أن جهد الشعراء فى التاريخ الإسلامى قد سبق جهود أدباء التنوير وإن لم يكن على نفس الخط تماماً ، وربما كان الفارق بين هذا التناول و ذاك هو الفارق الواضح بين تناول الشعر و تناول الأدب ، وإذا كان لنا أن نذكر جهود أحمد أمين و طه حسين كرائدين عظيمين فى هذا المجال الذى نتحدث عنه فمن باب أولى أن نشير إلى جهد شاعرين عظيمين تركا لنا أثرين عظيمين من الأعمال الشعرية المطولة التى تتناول تاريخ الإسلام على مدى القرون السابقة ، و هذان هما الشاعران أحمد شوقى وأحمد محرم .

لابد أن نذكر ما قام به أمير الشعراء أحمد شوقى فى ديوانه أومطولته « دول العرب و عظماء الإسلام » و التى تعتبر نموذجاً رائعاً للأعمال الشعرية التى تناولت التاريخ الإسلامى ، تعريفاً بأمجاد الإسلام و عظمته و انتصاراته ، و من البدهى أن الشعر حين يسجل التاريخ يكون أكثر ميلاً إلى الفخر منه إلى التحليل ، و يكون كذلك أكثر ميلاً إلى ربط الحوادث فى إطار واحد من الحديث عن النجاح المتواصل والمجد المتصل ، و من الطريف أن شوقى صاغ هذه القصيدة المطولة

وهو مَنْفَى في الأندلس ، و حين نتأمل صياغتها نجدها تأخذ شكلاً يكاد يكون وسطاً جامعاً لطريقتي تأليف الكتب أو صياغة الخطب، فهي تبدأ بالحمد لله (في عدة أبيات) ثم بالصلاة و السلام على رسوله عليه أفضل الصلاة والسلام و هكذا يمضي أمير الشعراء يسعرض التاريخ الإسلامي عائداً في بعض الأحيان إلى جذوره القديمة حين يصف البيت الحرام ، و يذكر تاريخه ويشير إلى أنباء اسماعيل و في أحيان أخرى يرتفع صوت المعلم والناصح في قصيدة شوقى ، كذلك فإنه يلح على الدوام على تنبيه الأبصار إلى الاعتبار من حوادث التاريخ الإسلامي .

وليس من شك في أن منظومة شوقى عليه رحمة الله كانت من أشهر النماذج التي اعتمدت على التاريخ في جلاء صورة الإسلام و المسلمين عبر ماضٍ طويل ، وقد كان من المفترض أن تكون من الذكاء الدينى الوطنى والقومى فنقررها ككتاب ذى موضوع واحد على طلابنا في مطلع المرحلة الثانوية أو نهاية المرحلة الإعدادية على سبيل المثال ، ونقرر على الطلاب حفظها بحيث يكون التاريخ الإسلامى مرتبطاً و مترابطاً في أذهانهم إلى الدرجة التى يسهل عليهم استحضاره في المواقف المختلفة من حياتهم فيما بعد ، و أحب أن أنبه هنا إلى ما ذكرت في المقدمة من اقتناعى بفائدة تقرير مجموعة كتب أحمد أمين وطه حسين في مطالع المرحلة الجامعية حين يكون الناشئ منا قد أصبح مهياً تماماً للبحث والتحليل و التفكير المركب.

و لا يقل بحالٍ من الأحوال (إلا في الشهرة) عن جهد شوقى في قصيدته المطولة أو ديوانه ، جهد الشاعر العظيم أحمد محرم في عمله الرائع العظيم إلهيآة الإسلامىة أو ديوان مجد الإسلام ، و من الطريف

أن نذكر أن أحمد محرم قد ضمن هذه القصيدة الطويلة جداً بعضاً من قصائده التي نشرها قبل ذلك بعناوين أخرى ، و ليس هذا هو مجال الدراسة المقارنة بين القصيدتين العظيمين ، إنما أقصد كما يرى القارئ إلى التعريف السريع .

و بالإضافة إلى جهد أمير الشعراء أحمد شوقي في قصيدة « دول العرب و عظماء الإسلام » فقد نال الخلود و الذيوع المتصل عمل آخر من أعماله هو همزتيه التي عارض بها همزية البوصيري ، كما عارض بنهج البردة بردة البوصيري ، و همزية شوقي هي تلك القصيدة التي يسمعاها المواطن المسلم و العربي كل يوم تقريباً حين تغنى السيدة أم كلثوم بعض أبياتها * .

* غنت أم كلثوم من « نهج البردة » ثلاثين بيتاً من مائة وتسعين ، من هذه الأبيات ستة في الغزل وثلاثة في الحكمة وخمسة في الضراعة والتعبد واثنان عشر في مدح الرسول وأربعة في الدعاء . ومن قصيدة « إلى عرفات الله » غنت أم كلثوم خمسة وعشرين بيتاً من ستين ، من هذه الأبيات التي غنتها ستة أبيات حذاء لركب الحجيج ، وثمانية في الدعاء واستغفار الله ، وبيت واحد في الحكمة وعشرة أبيات في زيارة الرسول .

أما « الهمزية » فقد غنت أم كلثوم منها أربعة وثلاثين بيتاً من مائة وواحد وثلاثين وقد جاءت تسعة أبيات منها في بشرى مولد النبي ، وثلاثة عشر بيتاً في الإشادة بدعوته للدين الإسلامي وسبعة في مدح الرسول وخمسة في التضرع والدعاوى .

أما أول قصيدة دينية غنتها أم كلثوم من شعر شوقي فهي « سلوا قلبي » ، وقد تواترت الروايات أن أم كلثوم حين وصلت إلى قول شوقي :

وما نيل المطالب بالتمنى ولكن تؤخذ الدنيا غلاباً

نهض المستمعون الذين حضروا الحفل يطالبون الانجليز بالجلاء عن مصر !!

و قد كان لشاعر النيل حافظ إبراهيم هو الآخر جهد بارز في هذا المجال بقصيدته « العُمرية » ، التي تقترب من ثلاثمائة بيت ، وقد تناول فيها شاعر النيل سيرة عمر بن الخطاب من نواح عديدة ، وانعكست فيها إلى حد كبير تطلعاته إلى مجد الإسلام و اعتزازه بماضيه .

كذلك لا بد لنا أن نذكر قصيدتين أخريين لشاعرين كبيرين جداً ، يبدو (بوضوح) أنهما نُظمتا لتنافسا قصيدة حافظ إبراهيم عن عمر ابن الخطاب و أعنى بهما قصيدة « العلوية » للشاعر الكبير محمد عبد المطلب عن الخليفة الرابع علي بن أبي طالب و التي جاء في مطلعها بعد المقدمة :

فهب لي ذات أجنحة لعل ألقى على السحب الإماما
إمام بنى الهدى و هو ابن تسع وأول مسلم صلى وصامما

وقصيدة « البكرية » للشاعر العظيم عبد الحليم المصري التي يتناول فيها سيرة الخليفة الأول أبي بكر بن الصديق و التي يقول فيها:

نهضت بأمر الناس و الدين لم يزل رضيعاً بأطراف الجزيرة حابيا
فلولاك عُلت الأمر بعد محمد لهدوا من الإسلام ما كان بانيا

ولو كان الأمر بيدي لألفت من هذه القصائد الثلاثة كتاباً آخر يكون مقررأ على صف دراسي تالٍ للصف الذي درس مطولة شوقي « دول العرب و عظماء الإسلام » .

لا ينبغي لنا أيضاً أن نغفل الإشارة إلى مجموعة الأعمال الشعرية العظيمة التي تناولت التاريخ الإسلامى والسيرة النبوية من زوايا

عديدة وبصياغات متنوعة وممتازة فبالإضافة إلى العاملين الكبيرين الرائعين لأحمد شوقي وأحمد محرم وإلى مطولات حافظ إبراهيم وعبد الحليم المصرى ومحمد عبد المطلب تأتى قصيدة عزيز أباظة « من إشراقات السيرة الزكية » ممثلة لجهده و مكانته فى الشعر العربى المعاصر.

كذلك فلا بد أن نذكر بالتقدير جهود شاعرين عمودين عظيمين لم ينلوا القدر الكافى من التقدير الواجب فى ظل عصر الشعر الحر الذى كان لابد (للأسف) لأنصاره من القائمين على وسائل الإعلام من أن يتجاهلوا الشعر العمودى ، هذان الشاعران هما عامر بحيرى و كامل أمين ، و من الغريب أن عامر بحيرى صاحب « أمير الأنبياء » كان مرشحاً لنوال جائزة الدولة التقديرية فى نفس اليوم الذى نالها اسم المغفور له صلاح عبد الصبور و كان قريباً جداً من الفوز بها ، ومع هذا فإنه من قليلى الحظ جداً فى إعلام الثقافة المعاصرة على الرغم من أن المغفور له رئيس السادات نفسه قد أطلق عليه لقب شيخ الشعراء حين لقيه فى جمع من الأدباء ذات مرة ، أما كامل أمين فإن عمليه العظيم « عين جالوت » و « الملحمة الحمديّة » يقفان بمنتهى القوة و الشموخ بين الأعمال الأدبية التى تناولت التاريخ الإسلامى .

وبالإضافة إلى هذه الجهود تأتى مجموعة من أهم الأعمال الشعرية التى تناولت السيرة النبوية من خلال معارضة « بردة البوصيرى » ،

وهى مجموعة من الأعمال العظيمة لاتزال تفتقر إلى الدراسة و التحليل والمقارنة فضلاً عن إزاحة تراب النسيان عنها في ظل انشغالنا فترة بعد فترة بما لا يستحق الانشغال و لا الاهتمام . فهناك قصيدة البارودى «كشف الغمة في مدح سيد الأمة » و هناك قصيدة شوقى « نهج البردة » و قصيدة محمد عبد المطلب « ظل البردة » وهى أعمال سابقة على جهود أدباء التنوير ، وهناك كذلك قصيدة الشاعر العظيم على أحمد باكثير «كشف ما جرى في مدح سيد الورى » وقصيدة محمد خليل الخطيب «بشرى العاشقين ببلوغ سيد المرسلين » وقصيدة هاشم الرفاعى « نهج البردة » و أخيراً قصيدة الدكتور حسن على إبراهيم « محمد رسول الله » .

على أن الشعراء فيما بعد الرواد الكبار شوقى و حافظ و محرم أخذوا يتناولون بنفس الروح التى تناول بها الأدباء التالون لأدباء التنوير كثيراً من القضايا الفرعية فى التاريخ الإسلامى بشىء من الدراسة والتمحيص ، و ليس هذا مجال الحديث بإفاضة عما أنجزوه فى هذه الناحية ، و لكنى أكتفى بنموذج واحد هو قصيدة الشاعر أحمد زكى أبو شادى رائد مدرسة أبوللو فى ديوانه الشفق الباكي (١٩٢٦) فى قصيدة « النبى محمد و روح الله » حين يقول :

هدمت أوهام القديم محرراً أيقال دينك ملؤه الأوهام
وشرعت للعقل الحكيم سياسة ضمنت بقاء جلالها الأيام
بُنيت على النفع الأتم وكل ما للعلم فالعلم الصحيح قوام
عقل كعقلك لن يبيح يبيح جهالة أبداً ، فكم سطعت له أحكام

وفي خطوة أكثر تقدمية وعصرية كان جهد الدكتور عبده بدوى فى
انشاء قصيد سمفونى بعنوان «محمد» نشره فى ليبيا عام ١٩٦٩ .

(٥) الدراسات التاريخية بعد جهد أدباء التنوير : من دون أن
نبخس أقدار علمائنا أو جهودهم فى مجالات الفكر المتصلة بالتاريخ
للحضارة الإسلامية والدول الإسلامية يمكن لنا أن نلخص المسار الذى
سارت فيه الأمور فى هذه المجالات فى الحقب الزمنية التى ترادفت بعد
جهود أدباء التنوير :

(أ) لم يؤلف الجيل الأول من تلامذة طه حسين وأحمد أمين وهم
من يفترض أنه كانت لهم فرص أوسع من فرص طه حسين
وأحمد أمين شيئاً ذا بال فى هذا المجال . فالدكتور عبد الرحمن
بدوى مثلاً وهو من أنبغ هؤلاء التلاميذ وهو أستاذ قسم
الفلسفة لم يضع لنا مرجعاً قوياً فى موضوع الشيعة أو الخوارج
أو الفرق السياسية الدينية فى صدر الإسلام بالرغم من رسائله
العديدة فى موضوعات عديدة !!

(ب) وهذا هو الجيل الثانى من أساتذة قسم التاريخ نفسه - نجد الأستاذين حسن أحمد محمود وأحمد إبراهيم الشريف يضعان (مثلا) كتاب العالم الإسلامى فى العصر العباسى .. يختص أولهما (هكذا) بكتابة تاريخ العصر العباسى الأول ويكتفى الثانى بكتابة العصر الثانى ، ويقصران هذا الكتاب على الحياة السياسية ، ويعدان فى المقدمة أن يصدرأ بعد ذلك جزءا يختص بالناحية الحضارية !!

(ج) أما الدكتور شوقى ضيف فقد كان صاحب فضل أوفى إذ أخذ خيط أستاذه طه حسين و بدأ يضع الكتب المطولة التى تتناول تاريخ الأدب العربى فى العصور المختلفة .. ويشاركه فى هذا المجال نخبة من أساتذة الأدب العربى يضعون تاريخ عصور معينة كالمغفور له الدكتور أحمد الحوفى ، و الدكتور أحمد هيكل ، والدكتور الطاهر مكى ، والدكتور بدوى طبانة والدكتور يوسف خليف .

(د) مهد أحمد أمين إلى دراسات مقارنة الأديان بكتابته الرائدة فى هذا المجال على مدار الصفحات الطوال من كتبه حتى وإن لم يختصها بفصول منفصلة ، وأحمد أمين هو بلا شك أول من كتب فى علم الأديان المقارن وصلته بالتاريخ ، وقد أثمر هذا الاتجاه فيما بعد كتابات الدكتور أحمد شلبى الأستاذ فى دار العلوم الذى أرخ هو الآخر للحضارة الإسلامية والأديان .

(هـ) وضع أحمد أمين الأساس القوى للدراسات التي تتناول الصلة بين الحضارات الشرقية بعضها وبعض وقد كان من المفروض (بحكم الانتماء الجغرافى والسياسى والظروف التنموية المشابهة) أن تنمو فى جامعاتنا مثل هذه الدراسات، ولكن يبدو أن شيئاً ما قد شاب التقدم العلمى فى هذا المجال ، فقد أُلغى معهد الدراسات الشرقية الذى كان قد أسس فى آداب القاهرة وتولى رياسته الدكتور عبد الوهاب عزام .. بيد أننا مع هذا نجد المغفور له الدكتور يحيى الخشاب فى نهاية الستينيات يضع كتابه عن التقاء الحضارتين الفارسية والعربية ، وهو مجموعة من المحاضرات ألقاها فى معهد الدراسات والبحوث العربية التابع لجامعة الدول العربية .

(و) لا ينبغى للمرء أن يغبط حق المغفور له الأستاذ محمد الخضرى فى كتابيه الممتازين « تاريخ التشريع الإسلامى » و« نور اليقين فى سيرة سيد المرسلين » . ولا يزعم الباحث أنه يستطيع أن يوفى هذا الرجل حقه . ولكنه الذى لا شك فيه أن كتابته كانت على أقل تقدير بمثابة مصباح جانبى ممتاز أفاد منه أحمد أمين وطه حسين ، حتى وإن ظن البعض أو اعتقدوا أنها تلخيصات ممتازة لكتب قديمة .

الفصل الخامس

ببليوجرافيا

تهدف هذه الببليوجرافيا إلى تسهيل البحث في المصادر التي أشار إليها الكتاب (بصفة خاصة أو بصفة عامة) ولا تتضمن بالطبع المراجع غير المباشرة التي استند إليها المؤلف في كثير من فقراته التي كتبها في هذا البحث ولكنها تُعنى في الأساس بأن تتيح للقارئ توصيفا ببليوجرافيا موجزا لبعض المصادر التي لا بد له من أن يستعيد الإطلاع عليها فيما يثيره في هذا البحث من أفكار ، وبخاصة الأفكار التي تنتقد بعض ما في البحث نفسه ، وقد أشرنا ترتيبها أبجديا دون التفريق بين العرب والأجانب وباعتماد اسم المؤلف الأول لا اسم العائلة ، وأشرنا إلى الطبعات التي نقلنا عنها لا لسبب إلا أنها كانت هي المتاحة أمام المؤلف قبل غيرها :

- ١- د. أحمد إبراهيم الشريف :
الدولة الإسلامية الكبرى ، دار القلم ، ١٩٦٥ .
- (٢-٦) - أحمد أمين :
فجر الإسلام (١ ج) ، مكتبة النهضة المصرية ، طبعات متعددة
ضحى الإسلام (٣ ج) ، مكتبة النهضة المصرية
ظهر الإسلام (٤ ج) ، مكتبة النهضة المصرية
يوم الإسلام (١ ج) ، مكتبة النهضة المصرية
حياتي ، مكتبة النهضة المصرية
- ٧- د. أحمد شلبي :
التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية ، ط ٢ دار النهضة المصرية
- ٨- د. أحمد فؤاد الأهواني :
مقدمة لكتاب ظهر الإسلام ، الجزء الثانى ، تأليف أحمد أمين ، دار النهضة
المصرية .
- ٩- بارتولد :
تاريخ الحضارة الإسلامية ، ترجمة حمزة طاهر
- ١٠- جرجى زيدان :
تاريخ التمدن الإسلامى ، ط ٣ ، مطبعة الهلال ، ١٩٢٢ .
- ١١- حسن أحمد محمود وأحمد إبراهيم الشريف :
العالم الإسلامى فى العصر العباسى : دار الفكر العربى، ١٩٦٦
- ١٢- خودا بختش :
الحضارة الإسلامية ، ترجمة على حسن الخربوطلى ، دار القلم
- (١٣-١٧) - طه حسين :
مرآة الإسلام

على هامش السيرة (٣ أجزاء)

الوعد الحق

الفتنة الكبرى - عثمان

على وبنوه

مجموعة إسلاميات طه حسين ، دار الآداب ، بيروت ١٩٦٧

(١٨ - ٢٠) - عبد الحميد العبادي :

- الدولة الإسلامية : تاريخها وحضارتها (بالاشتراك) ١٩٥٤

- صورة من التاريخ الإسلامي (جزءان) ١٩٤٧ - ١٩٥٣

- المجلد في تاريخ الأندلس (١٩٥٨)

(٢١-٢٢) محمد أبو الفضل إبراهيم وعلى محمد البجاوي :

- أيام العرب في الإسلام

- أيام العرب في الجاهلية دار الكتب العربية ، عيسى البابي الحلبي ، ط ٢

(١٩٦١).

٢٣- محمد عزة دروزه :

« العرب والعروبة من القرن الثالث حتى القرن الرابع عشر الهجري » دار

اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر ، سورية ، ١٩٥٩ .

٢٤- د. محمد محمد الجوادي

مجلة الثقافة : تعريف وفهرسة وتوثيق ، الهيئة العامة للكتاب ، ١٩٩٣ .

٢٥- محمد مهدي علام :

المجمعون، مجمع اللغة العربية ، ط ٢ ، ١٩٨٦

٢٦- د. يحيى الخشاب :

التقاء الحضارتين العربية والفارسية ١٩٦٩ ، معهد البحوث والدراسات

العربية

تم بحمد الله

كتب للمؤلف

- ١- الدكتور محمد كامل حسين عالماً ومفكراً وأديباً،
(الكتاب الفائز بجائزة مجمع اللغة العربية الأولى في الأدب العربى عام ١٩٧٨) .
الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٧٨ .
- ٢ - مشرّفة بين الذرة والذروة،
[نال عنه المؤلف جائزة الدولة التشجيعية فى أدب التراجم عام ١٩٨٢] .
الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٨٠ .
- ٣ - كلمات القرآن التى لا نستعملها (دراسة تطبيقية لنظرية العينات اللفظية) ،
دار الأطباء ووكالة الأهرام للتوزيع ، القاهرة ، ١٩٨٤ .
- ٤ - يرحمهم الله (كلمات فى تأييد بعض الشخصيات)
دار الأطباء ووكالة الأهرام للتوزيع ، القاهرة ، ١٩٨٤ .
- ٥ - من بين سطور حياتنا الأدبية (دراسات أدبية)
دار الأطباء ووكالة الأهرام للتوزيع ، القاهرة ، ١٩٨٤ .
- ٦ - الدكتور أحمد زكى ، حياته ، وفكره ، وأدبه .
الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٨٤ .
- ٧ - مايسترو العبور المشير أحمد اسماعيل ،
دار الأطباء ووكالة الأهرام للتوزيع ، القاهرة ، ١٩٨٤ .
- ٨ - سماء العسكرية المصرية الشهيد عبد المنعم رياض ،
دار الأطباء ووكالة الأهرام للتوزيع ، ١٩٨٤ .
- ٩ - الدكتور على باشا إبراهيم ، سلسلة أعلام العرب ،
الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٨٥ .
- ١٠ - الحلول الجزئية هى الأجدى أحياناً .. مستقبلنا فى مصر ،
دار الأطباء ووكالة الأهرام للتوزيع ، القاهرة ، ١٩٨٥ .
- ١١ - التشكيلات الوزارية فى عهد الثورة ،
الهيئة العامة للاستعلامات ، القاهرة ، ١٩٨٦ .
- ١٢ - الدكتور سليمان عزمى ، سلسلة أعلام العرب ،
الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٦ .

- ١٢- الدكتور نجيب محفوظ ، سلسلة أعلام العرب ،
الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٦ .
- ١٤- دليل الخبرات الطبية القومية مع مقدمة وافية عن تاريخ وحاضر مؤسسات
التعليم الطبى المصرية ،
مركز الإعلام والنشر الطبى ، الجمعية المصرية للأطباء الشبان ، ١٩٨٧ .
- ١٥- الصحة والطب والعلاج فى مصر ،
جامعة الزقازيق ، ١٩٨٧ .
- ١٦- توفيق الحكيم من العدالة إلى التعادلية ، المكتبة الثقافية ،
الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٨ .
- ١٧- رحلات شاب مسلم ،
دار الصحوة للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ١٩٨٩
- ١٨- الببليوجرافيا القومية للطب المصرى ، الجزء الأول والثانى ١٩٨٩ ،
الجزء الثالث والرابع ١٩٩٠ ، الأجزاء من الخامس وحتى الثامن ١٩٩١ .
الأكاديمية الطبية العسكرية ، وزارة الدفاع ، القاهرة .
- ١٩- منهج أدباء التنوير فى كتابة تاريخ الأمة الإسلامية ،
رابطة الجامعات الإسلامية ، الرباط ، ١٩٩٠ .
- الطبعة الثانية : أدباء التنوير والتاريخ الإسلامى ، دار الشروق ، ١٩٩٤ .
- ٢٠- مجلة الثقافة [١٩٣٩ - ١٩٥٢] : تعريف وفهرسة وتوثيق ،
الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٣ .
- ٢١- شمس الأصيل فى أمريكا (من أدب الرحلات) ،
دار الشروق ، ١٩٩٤ .
- ٢٢- أوراق القلب (رسائل وجدانية) ، دار الشروق ، القاهرة ، ١٩٩٤ .
- ٢٣- مذكرات وزراء الثورة [دراسة تشريحية تاريخية نقدية لعشر مذكرات
سياسية]
دار الشروق ، القاهرة ، ١٩٩٤ .
- ٢٤- المحافظون (قوائم كاملة ، وفهارس تفصيلية وأبجدية ، ودراسة لتسلسل
وتطور اختيار المحافظين منذ بدء الإدارة المحلية فى ١٩٦٠ وحتى الآن) ،
دار الشروق ، القاهرة ، ١٩٩٤ .

المحتويات

٥ مقدمة الطبعة الثانية
١٧ مقدمة الطبعة الأولى
٢١ الفصل الأول: قصة المشروع
 الفصل الثاني : الإنجازات التي تحققت من خلال كتابة
٢٤ أدباء التنوير للتاريخ الاسلامى
٤٠ الفصل الثالث :سمات منهج أدباء التنوير
٦٣ الفصل الرابع : المكانة التاريخية لأعمال أدباء التنوير
٧٥ الفصل الخامس : بيليوغرافيا
٧٨ كتب للمؤلف :

رقم الإيداع ١١٣٥٠ / ٩٤
I.S.B.N 977 - 09 - 0257- 8

مطابع الشروق

١ : شارع جواد حسنى - هاتف : ٣٩٣٤٥٧٨ - فاكس : ٣٩٣٤٨١٤
٢ : ص ب : ٨٠٦٤ - هاتف : ٣١٥٨٥٩ - ٨١٧٧٦٥ - ٨١٧٢١٣



د. محمد محمد الجوادى

إذا جاز أن يكون هناك أكثر من مستوى لكتابة تاريخ أمة (ومن باب أولى الأمة الإسلامية) فلا بد أن تتميز كتابة بالقدرة على أن تكون مقروءة على أوسع نطاق ، وأن تحظى بأقلام قديرة مقتدرة كتلك الكتابات التي تتناولها هذه الدراسة هذا البحث. ليس من هدف هذه الدراسة أن تلخص آراء أبدت بأقلام أصحابها حين أتيح لهم أن ينشروا على الناس ماكتبوه في تاريخ الأمة الإسلامية.. ولا أن تعلى من قدر كتابة تاريخية على ماسواها من كتابات، ولا أن تدل على المنهج الأمثل لكتابة تاريخ الأمة الإسلامية وإن كانت بالضرورة سوف تلقى ببعض الضوء على بعض معالم في الطريق الكفيل بالوصول إلى بعض ما نبتغيه لتاريخ أمتنا حين يكتب.

تحاول هذه الدراسة أن تتأمل الجهد الذي شهدته الربع الثاني من القرن العشرين في مصر حين تصدرت مجموعة من أساتذة كلية الآداب في الجامعة المصرية لكتابة تاريخ الأمة الإسلامية، وتستعرض الدراسة هذه التجربة الرائدة جهداً ممتازاً أصبح بمثابة المصدر المفضل لأهل التاريخ الأدب العربي، وكثير من الدراسات الإنسانية في العربية، وهو بعد ذلك، وقبله المرجع العلمي الممتع الأدبي الممتاز.

محمد الجوادى